

# كليفيس

رواية



تأليف  
جنكو صالح تمو

دار التقدّم

كليفيسن  
(رواية)



(رواية)

# كليفيس

تأليف

جنكو صالح تمّو

دار التقدّم

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

1443هـ - 2021م



لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب  
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات  
أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال  
من دون إذن خطّي من المؤلف

القامشلي - سورية

هاتف: 0096352440281

جوال: 009630936664772

**ملحمة**  
**جنكيز خان الخيالية**

**الجزء الأول**

**في القرية**

اقْرَأْ

فَإِنَّ

لَمْ

تَقْرَأْ

فَأَنْتَ مَيْتٌ

## الإهداء

إلى زهراتي الخمس

أسيم

فايا

لاريسا

بيال

ليا

وإلى أبي الذي كان يشجعني دائماً

وإلى الصديق عادل أبو آدم





## البشرى بولادة جنكيز خان

ذات ليلٍ، انقلبت الأحوال الجوية، واستسلمت السماء لغزوٍ متدفقٍ من سحب متراكضة متراكمة زادت الظلامَ ظلمةً، ثم تلاه وميضٌ قويٌّ ملأ الفضاء نوراً، وقصفٌ دوى في أرجاء قرية كودو، وتتابعت الرعشات الضوئية الجنونية المتوهجة تحت السحب المتقدمة بسرعة، ثم خفت النورُ وخيم الظلام الدامس، وفجأة اقتحم السواد الحالك لهبٌ أحمرٌ خاطفٌ توهج تحت السحب ثم خمد وتلاشى، كان ينزف مثل جرح أحمر، وكان يتقدم بسرعة من وسط غابة زاخرة بالنجوم المتلألئة، مُعلنًا انشقاقه عن طاعة نظام الكون.

وعلى إثر أطياف الرعشات الضوئية، وأصوات الرعود القوية، وألحان الشهاب النارية، ومن بيت قائم فوق تلة قرية كودو الحدودية، التابعة لمدينة القامشلي السورية، والواقعة شمالي طريق قامشلي - عامودا، وفي الرابع من مارس عام 1972م، دوت صرخات مزدوجة لأم مسكينة تحتضر وتودّع الحياة، وطفل بريء يستقبل العالم بوجه عابس، وكأنه يرى ما يحيط به ويعي ما سيحلّ به، إنها البشرى بولادة جنكيز خان الذي سُمّي فيما بعد بالإمبراطور جنكيز خان العظيم، إمبراطور أحلام اليقظة والخيال، في تلك الليلة المباركة أو الشئيمة نُسجت بأيدي

آئمة خيوط مؤامرة حقيرة دنيئة، تأمر فيها أقرباء الدم ضد براءة  
الطفولة.

\*\*\* \*\*

قالت العمّة نايفة بجُرأة ووقاحة لا مثيل لهما على وجه الكون،  
ومن دون أدنى شفقة ورحمة:  
\_ اقتله، يا نايف اقتله.

تساءل العم نايف الجبان مستفهماً:

\_ لماذا عليّ قتله، يا أم سبراج؟

أجابته أمُّ سبراج:

\_ إنه قبيح وقذر، إنه نذير شؤم.

فقال العم نايف نافخاً في الهواء بغیظ:

\_ إلامَ ترمين؟ هيا أفصحي عما يدور في عقلك، وعما يضطرم  
به قلبك.

أجابت العمّة نايفة، وهي تنفث سمومها:

\_ ما إن حملت به أمه توفّي أبوه، وما إن وضعته توفيت هي

أيضاً، ماذا تريد أكثر من ذلك يا بعلي العزيز؟

فقال العم نايف:

\_ لا تبالغي يا نايفة، ولا تحملي الطفل ما لا ذنب له فيه، فأبوه مات إثر إصابته بحمى شديدة، وأمّه شأنها شأن كثير من النساء اللواتي فقدن حياتهن في أثناء الولادة، فقد انتهى أجلها، وإنني أرى أنه لا دخل له في ذلك، وسيصبح عظيماً ذا شأن، في يوم من الأيام.

ازدادت العمّة نايفة مقتاً وكرهاً وتحريضاً للعم نايف قائلة له:

\_ افعل يا نايف ما أشرت عليك به، ولن تندم أبداً.

بدأ عدّاد الصمت يعمل.

فهزّ العمّ نايف رأسه، وحمل ابن أخيه المتوفى (حوّاس) بين ذراعيه، وأخذ يتأمّل ملامحه البريئة بشغف واهتمام، فوجده طفلاً نحيلاً رقيقاً هشّاً، وكان جميلاً مميّزاً، وتدلّ ملامحه على ذكاءٍ حاد، فرق قلبه ولان في تلك اللحظة فقط.

فقال العم نايف بعد أن وقف عدّاد الصمت عن الدوران:

\_ لن أقتله.

سألته الزوجة بوجوم:

\_ لن تقتله؟!\_

\_ لا... لا... لا.

وفي أثناء الجدل، خطفت الزوجة الخبيثة الملعونة الوليد الصغير من بين ذراعي بعلمها الراض لفكرة القتل، وهي تحاول أن تهصر كتلة اللحم الطرية، بين ذراعيها الغليظتين والقيحتين معاً، فصرخ الصغير، مُصدراًً أنيباً موجعاً يهزّ الفؤاد، ويُدْمع العيون، فدفعته بغلٍّ وحقد في المهده، من دون أن تتحقق رغبتها في القتل.

نظر العمّ نايف إلى ما فعلته زوجته نايفة فقال مؤنباً:

\_ لا تؤذي الصغير، هل فهمتِ؟\_

صمتت ولم تُجب.

وكان العمّ نايف طويل القامة، ضخم الجسم، طيّب القلب، ولكن طبيته تلاشت أمام أعمال العمّة نايفة الشيطانية، ذات القامة القصيرة، والجسم البدين، والقسمات الغليظة، والقلب الأسود الحقود الذي لا تعرف الرحمة والشفقة طريقاً إليه.

قالت الزوجة جزعاً:

\_ يا نايف، قلبي يحدثني أن مجيء ابن أخيك (حوّاس) نقمة

علينا، وعلى أهل قريتنا جميعاً، وسترى غداً ما سيفعل بنا، وإن غداً  
لناظره قريب، ثم تابعت الزوجة الناظرة بحقدٍ ومقتٍ إلى المهد  
حديثها:

\_ لا تتجاهل كلامي، عليك التخلص منه في الحال.

فقال العم نايف محتدّاً:

\_ اعقلي يا بنت الناس، ألا تخافين الله؟! كيف أتخلص من  
كتلة اللحم الصغيرة؟

تنهدت أم سيراج، وفحصت أبا سيراج من أسفل قدميه حتى  
قمة رأسه، وقالت:

\_ آه... لو تعلم يا أبا سيراج.

\_ ماذا أعلم؟

ثم تابع الزوج:

\_ إنني أرى أنك تتوهمين وتتوجسين ليس إلا.

وبعد المناورة والمداورة في الحديث مع بعلمها، نفثت ما تحت  
لسانها من السموم، وأفصحت عن مكنون قلبها الأسود قائلة:

– أتريد أن يتقاسم اليتيم الثروة مع أبنائك؟

بدأ عداد الصمت والتأمل في العمل والدوران ثانية.

تقدّم العمّ نايف من النافذة المغلقة، وأخذ يتأمل السماء المظلمة ظلاماً دامساً، وفجأة استفاق من حلم مزعج، وبدأ يفكر فيما ترسّب في وعيه من حديث زوجته نايفة أم سيراج الطماعة، فيما يتعلق بحصة ابن أخيه الميّت من الأراضي الزراعية الممتدّة بلا نهاية وقطيع الأغنام الكثير العدد، وكذلك البيت الكبير الجاثم بكبرياء فوق التلّة المرتفعة، مع الفناء الخلفي الذي يضمّ الزريبة الكبيرة. وراح يبحث عن حلّ يخرج من المأزق المحرج الذي دفعته إليه أم سيراج مكرهاً، بنفس اليوم الذي ولد فيه الصغير جنكيز خان، وليتجنب القتل، ويتخلّص من المشاكل في المستقبل، ولكي لا يطالب هذا الولد بحصته بالميراث، عليه أن يجد حلاًّ سلمياً يبعده عن القتل العمد.

وقف عداد الصمت عن العمل.

ابتسم العم نايف مزهوّاً بنفسه، من بعد تأملٍ، وتفكيرٍ عميقين

قائلاً:

– استبشري خيراً يا زوجتي، اهتديت إلى حلّ.

\_ وجدتُ حلاً؟

\_ نعم.

\_ ما هو؟

فقال العم بمكر:

\_ نسلم جنكيز خان الصغير إلى الراعي نوري.

\_ وماذا بعد؟

\_ فيلازمه ويصبح ظله الظليل، ويبقى أمياً جاهلاً لا يفقه من العلم والمعرفة شيئاً.

ثم تابع العم مؤكداً:

\_ وأؤكد لكِ بشرفي الضائع، عدم مطالبته بالإرث، وبهذا لن نتحمل جريرة إزهاق روح ملاك صغير.

سألت العمّة نايفة زوجها حلال العقد والمشاكل بقلق:

\_ ما الفائدة من ذلك؟

\_ نترقب.

\_ نترقب؟



وتابعت أم سیراج الحديث قائلةً:

– ألا ترى معي، يا أبا سیراج، أنه سيكبر في النهاية، وسيطالبك بكل ليرة له معك، قبل أن نجني من ثمار خطتك.

أجاب العم نايف باطمئنان:

– ثقي بي من هذه الناحية، فقد وضعت خطة جهنمية، وفي غاية الدقة والإحكام.

ثم أكمل أبو سیراج:

– واطمئني؛ لأنه لن يتعلم حرفاً واحداً، وأنا على قيد الحياة، ولن أدخله إلى المدرسة.

ثم تابع مرة أخرى:

– فكيف له أن يطالب بحقه، وهو لا يعرف الخمسين من المئة؟

– ماذا تقصد بذلك؟

– أقصد المال.

ثم أردف العم نايف قائلاً:

– سيجيء يومٌ يصبح فيه جنكيز خان الصغير أفضل راعي غنم

في القرية، والمنطقة بأكملها.

\_ هل أنت متأكد مما تقول؟

\_ أجل.

\_ ممتاز.

\_ وأزيدك علماً أنني ما رأيتُ السفهاء قد طالبوا بحقوقهم في يوم من الأيام.

فقالت الزوجة وهي تراهن زوجها:

\_ لنرَ ونراهن يا أبا سیراج.

أجابها الزوج:

\_ لنرَ ونراهن يا أم سیراج.

وعلى رهان تلك الليلة، ناما نوماً هادئاً مطمئناً.

\*\*\* \*\*

وفي صباح اليوم التالي، وبعد سقوط النيزك الأحمر من السماء المكفهرة، وقعت أحداث غريبة وعجيبة، أدهشت الجميع، بما أحدثته من تأثيرات في النفوس في أثناء ذلك الصباح. فقد استيقظ الراعي

الوفي نوري ذو الجسم النحيل، والقامة الطويلة، والوجه الجميل، على ضجيج الحيوانات المختلطة؛ إذ كانت حجرته قرب الحظيرة التي تضم بين جنباتها: قطيعاً من الأغنام، وبعض الكباش، مع حمار وكلب بينها. وكانت ملكية القطيع تعود إلى العم نايف، ووالد اليتيم جنكيز خان. وأول ما لفت انتباه الراعي، وهو يفتح باب الحظيرة الكبيرة، الحمار وهو يرفس بحوافره الحادة كل شيء من حوله، وينهق نهيقاً متواصلًا، أمّا الكلب الأجرد فقد كان يعضّ جلد رقبتة، وينبح نباحاً طويلاً، في حين كانت بقية أفراد القطيع -النعاج والكباش- تغني بلذة وانتشاء: ماع... ماع... ماع... وكانت تهزّ رؤوسها يميناً وشمالاً، وتخبطها على الأرض، ثم ترفعها نحو السماء المتلبدة، وهي تؤدي ذلك العرض المسرحي، في غاية الدقة والانسجام، وكأنه قد هبط عليها وحيّ إلهي، في جلسةٍ روحية بين شيخ جليل، ومريديه المتعصبين.

وقف الراعي وجلاً في مكانه، وأخذ يتفحص ما حوله بدقّة، وألقى نظرة مرعبة في الأجواء، فرأى ما تقوم به الحيوانات من حركات هستيرية، وما تخرجه من أصوات حزينة كئيبة، فلم يتمالك المسكين نفسه، وخرّ جالساً بين روث الحيوانات، فاقداً كبريائه لحظتها، حيث دمعت عيناه واحمرتا، لرؤية المشهد الأليم، ثم دهمه خوف وذعر

متبوعين بتعب وإعياء، وجمال في خاطره عدة خواطر؛ هل يا ترى تسللت أفعى أناكوندا إلى الزريبة ليلاً، فأفزعت الحيوانات بهذا الشكل الغريب؟؟ أو هل تكون بعض الذئب الجائعة، وهي تبحث عن وليمة طازجة تسدّ بها جحائم الجوع الكافر، قد تسللت خفية عبر جدار الفناء الخلفي إلى الحظيرة؟؟

كان العم نايف، في هذا الوقت، يغطّ مع زوجته نايفة في سبات عميق، بعد تلك الليلة العاصفة التي أبرما فيها صفقة حرمان جنكيز خان من تقاسم الميراث مع أبنائهما.

\*\*\* \*\*

كان المنزل الذي يسكنه عم جنكيز خان من ممتلكات جده المرحوم عثمان، وكان البيت الكبير جاثماً فوق تلة قرية كودو المرتفعة، مثل صقرٍ جارح يفرد بجناحيه المنزل من طرف، والفناء الخلفي الواسع من طرفٍ آخر، يفصلهما جدار مرتفع ما بينهما، وعندما اشتدت الأصوات حدّةً بدأ القلق والحيرة يشندان على الراعي المسكين، ثم تتم يحدث نفسه:

– يجب أن أخبر سيدي وبسرعة.

هرع الراعي نوري إلى باب سيده العم نايف، بأنفاس لاهثة

ومتقطعة، ودقّ بابه بعدة طرقات مرتبكة... فتح العم نايف الباب بوجه ناعس قائلاً له:

\_ ما وراءك يا وجه النحس؟

أجابه الراعي النحيل متلعثماً:

\_ سيدي.

فقال أبو سیراج حانقاً:

\_ ملعون سيدك.

ثم تابع العم الغاضب:

\_ تكلمّ بسرعة.

أجاب الراعي المسكين مذعوراً:

\_ الحيوانات.

\_ الحيوانات!! وما بها الحيوانات؟

\_ تتصرف بغرابة يا سيدي.

\_ ماذا تقول؟

\_ لقد أفرعتني حركاتها.

فتابع الراعي الخائف:

\_ صدّقني يا سيّدي. لقد جُنّت جميع الحيوانات، ومن دون استثناء، وها أنا جئتُ إليك مثل البرق، لأبلغك بما رأيت.

فقال أبو سیراج:

\_ لا تحاول خداعي أيها الخرف.

أجابه الراعي نوري:

\_ عليك أن تصدّق قولِي. دعنا نذهب معاً، ولتَرَ بأمّ عينك ما يحدث في الحظيرة، ثم احكم عليّ بما تشاء.

\_ أصدّق!!

\_ نعم، صدّقني. لقد اجتاحت عاصفة من الجنون والهستيريا زريبة الحيوانات، ولم أرَ يا سيّدي مثل هذه الحالة، إلا عند المعارضين.

ضحك العم نايف بعصبية:

\_ وماذا رأيت يا نوري، غير القرية، ورعي الأغنام، والحمار، والكلب، ثم تأتي وتحدث في السياسة؟

أجابه الراعي:

\_ سامحك الله يا سيدي.

خَفَّفَ العَمُّ نايِفَ من لهجته القاسية مع الراعي نوري قائلاً له:

\_ أنت من أهل البيت يا نوري.

\_ أعرفُ هذا.

\_ لذا لا تكذب عليّ.

\_ لم أكذب عليك طوال حياتي.

فسأله العم نايِفَ:

\_ وماذا أيضاً؟

\_ سيدي، رأيتُ بأمّ عيني، حماقات الحمار وهو يرفس، والكلب

يعضّ نفسه، والأغنام تمعمع وتهزّ رؤوسها يميناً وشمالاً. بماذا تفسر

ذلك يا سيدي؟

شهبق أبو سبباج متوتراً، والتفتَ إلى الراعي المرعوب قائلاً:

\_ أرى أنك فقدت رشذك يا رجل.

\_ لم أقل إلا الحقيقة يا سيدي.

\_ الحقيقة!!

\_ نعم الحقيقة.

فتوجّه العمّ نايف نحو الفناء الخلفي مسرعاً، وتبعه الراعي نوري وما زالت آثار الصدمة و أمارات الذهول بادية على قسماته البريئة. وعندما اقترب العمّ من باب الزريبة، سبقه نوري الجزع إليها، فاتحاً الباب له على مصراعيه. فارتعب نايف لما رأى ما تقوم به الحيوانات الأليفة، من أداء رقصات فلكلورية، وإحياء ذكرى لأغانٍ تراثية، وإثبات عدم فعالية الأغاني الغوغائية، فتراجع خائفاً مدعوراً إلى الخلف لهول ما رأى قائلاً باضطراب:

\_ لطفك يا رب.

وبينما كانا مذهولين بتأثير وقع الصدمة القاسية تنامى إلى مسمعهما صوتٌ صخبٍ، ثمّ تبعته صرخات وصيحات عالية، آتية من مكان قريب، ولكنهما لم يدركا ماهيتها، حتى اقتحمت فجأة أم سیراج المكان المرعب، وبددت سحابة الصمت القائم بين زوجها والراعي، وقالت بفرح:

\_ ألم تعرفا بعد؟



سألاً معاً:

\_ ماذا نعرف؟

أجابت والابتسامة لا تفارق شفيتها الشاحبتين:

\_ إنَّ أهل قريتنا يشتبكون ويتعاركون صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً،  
بلا تمييز.

فقال العم نايف والراعي نوري متعجبين:

\_ واو... واو... !!!

ثم تابعا معاً متسائلين:

\_ هل أنتِ متأكدة يا أم سیراج مما تقولين؟

\_ وهل تريانني أكذبُ عليكما، أيها السيدين المحترمين؟

أجابها الراعي نوري:

\_ حاشاك، يا سيدتي.

قاطع العم نايف حديثهما:

\_ مستحيل.

تساءل الراعي المرعوب:

– لِمَ هو مستحيل؟

– لأنني لم أشاهد أهل قريتي يتضاربون ويتعاركون إلا نادراً.

وأكمل قائلاً:

– منذ مئات السنين، أنا وأجدادي نعيش هنا على هذه الأرض،  
فما رأيت من خلاف بهذا الشكل المريع الذي نراه الآن.

قاطعتهم العمّة الشريفة نايفة قائلة بشماتة:

– كان منظرهم يضحك الرائي.

ردّ الزوج على زوجته:

– بعدما رأيت عيناى ما يحدث في الحظيرة، كل شيء في نظري قابل للتصديق، وإذا لم تصدّقيني يا حبيبتى، فإنها كانت أكثر إثارة من الانتخابات الأمريكية.

هتف الراعي نوري المولع بالسياسة بصوت عالٍ:

– هو الحدث الثاني بعد سقوط الشهاب الأحمر، برأس سيدنا الشيخ جابر، قدّس الله سرّه.

جلس العم نايف في مكانه مرهقاً متهاكاً، وأشار إلى زوجته أن

تجلب له كأساً من الماء، لقد جفّ حلقه خوفاً ورعباً، فهرعت أم سيراغ إلى الداخل، ثم جلبت لزوجها العطشان كأساً من الماء الثلجي، وقالت له:

– تفضّل، اشربه بالصحة والعافية يا حياتي.

وأخذ العم نايف بمودّة وامتنان كأسَ الماء البارد من أمّ سيراغ، وقربه من فيه الصغير، فوجد لون الماء أصفرَ آسناً، وتفوح منه رائحة كريهة، فتملّكه خوف عظيم، انتشر في جميع أوصاله، فرمى مختلجاً الكأس المملوء في الهواء، فتناثرت القطرات الجليدية كسكاكين حادة على الراعي المسكين والعمة نايفة، فاصطكت أسنانهما وارتعشت أجسادهما، ولم يتمالك أعصابه المنهارة، ثم صرخ العم بأعلى صوته المبحوح:

– ماذا جلبت لي، يا حية؟

تجمّدت الدماء الحارة في عروق أم سيراغ الحقودة فصاحت فزعاً:

– هل جننت يا رجل؟

– ماءً أصفر.

رددت العمة غير مصدقة:

\_ ماءً أصفر!!

\_ ورائحته كريهة.

\_ كريهة!!

\_ نعم.

تدخل الراعي فقال:

\_ إنه الحدث الثالث على التوالي. برأس الشيخ جابر.

وكان العم نايف يرتجف فقال:

\_ اعذرني يا نوري الطيب، لأنني لم أصدّك، ولم أقتنع بكلامك، أحياناً نعتقد أننا على صواب، ولكن يكون العكس هو الصحيح.

ردّ نوري مبتسماً:

\_ صدقت سيدي.

تساءلت العمة نايفة مستفهمة:

\_ ما السبب الكامن وراء هذه الأحداث؟

ساد صمتٌ.

تقدّم العم نايف إلى الأمام، حيث تتبعه زوجته والراعي، وخرجوا من الفناء الخلفي، متسلّلين عبر باب الجدار الفاصل، ما بين المنزل القائم على التلّ والفناء، وقد أصبح الوقت ظهراً تقريباً، فتذكّر العم ما حدث في الليلة الفائتة، ثم ابتسم، وأجاب عن سؤال زوجته:

– لعلك لن تصدّقيني، إذا قلتُ لك إن السبب ذلك النيزك الأحمر.

سألتِ الزوجة بلطف:

– هل أنت واثقٌ مما تقول، يا زوجي العزيز؟

أجابها العم نايف مغزلاً:

– بالطبع يا زوجتي الجميلة.

وما كانت قطُّ جميلة، إلا في عينيه.

فقال الراعي نوري الطويل:

– صدقت يا سيدي، أظن أنه النيزك المرعب.

وكان يهبّ في الخارج نسيم لطيف خفيف ينعش الروح.

فقالت العمّة نايفة بنظرة شكّ:

\_ يخالجنى إحساس أن سبب الشّجار، ورقصات الحيوانات،  
ورائحة المياه ليس ذلك النيزك الذي تشير إليه.

التفت الزوج إلى زوجته التي تشكّك في كلامه، وإلى الراعي  
الذي يصدّقه مفسراً لهما:

\_ لقد حرّك سقوط النيزك الأحمرِ الخوفَ الغريزيّ في أعماقنا  
المظلمة، وها أنتما تريان بأعينكما ما جرى.

وتابع العم نايف شارحاً ما بدأ به:

\_ إنه غضب من إله الطبيعة الأعمى.

فسأله الراعي:

\_ تقصد أنّها لعنة من السماء حلّت بنا؟

\_ أكيد.

وتساءل نوري أيضاً:

\_ وماذا عن غضب البشر؟

\_ إنني أرى أن غضب البشر والتكنولوجيا العسكرية الحديثة،

ألعن ألف مرة من غضب الطبيعة يا نوري.

وتساءل الراعي في حيرة:

– أيهما شره أقوى يا سيدي؟

– إنني أرى شرّ البشر أقوى من شرّ الطبيعة.

يبدو أنّ العمّ نايماً كان يعلم أن للطبيعة تأثيراً فعالاً وقوياً في تهيج الأحاسيس وبثّ مشاعر الخوف، والذعر، والحزن، والكآبة في نفوس القوى الحية منذ الأزل، فإنّ أحداث الليلة الماضية، كان مردّها الخوف من تغيّرات الجو، وإنّ سقوط النيزك الأحمر أدّى إلى حالة من الفوضى والاضطراب، أثّرت في أمزجة أهل القرية وعقولها، فأصبحوا حادّي الطباع، سيّمي السلوك، ولكنّ تقدّم الإنسان الحديث في مجال التكنولوجيا العسكرية، أحدث ثورة حقيقية في ابتكار الطائرات المقاتلة، والصواريخ الباليستيّة، والقنابل النووية التي صار لها دور كبير في بثّ مشاعر الذعر، والرعب، والخراب، والدمار آلاف المرات والمرات في نفوس البشر والحيوانات، متفوقة على غضب الطبيعة وجبروتها بكثير، فبحقبة نووية واحدة يمكن تدمير مدينة بأكملها، وقتل مليون نفس في لحظات خاطفة، وتبقى آثارها في الطبيعة والتربة والبشر، يتوارثها أجيال عن أجيال جينياً ووراثياً. وبالتالي فإنّ غريزة

الخوف صفة متأصلة منذ الفطرة، بجميع الكائنات الحية، وإن الخوف ما هو إلا وهم وخيال.

\*\*\* \*\*

مرّت الأيام والأعوام، وتقدّم جنكيز خان في العمر، حتى بلغ سنّ الحُلم والرُّشد، ولم تَخَفْ عنه يد الظلم والعذاب يوماً، ونتيجة حرمانه من التعليم، بدأت رحلة أحلام اليقظة تكبر معه كطفل رضيع يلزم أمّه باستمرار، ونمت معه رغبة جارفة في الانتقام من معدّيه قساة القلب خاصّة، فأخذ فكره يعمل ويدور، في تديرير مقابل يشفي غليله الظمآن منهم.

ثم بدأت أولى مقالبه، في ذات يومٍ ربيعيٍّ مشمسٍ وجميل، كان الوقت ظهراً حين جهّزت يد العمّة نايفة الأثمة الطعام، وسلّمت الشاب جنكيز خان وجبة منه ليوصلها إلى عمّه، وعندما ابتعد عن البيت، وضع كمية من الملح المسروق في طعام معدّبه العم نايف، من دون أن تشعر عمته نايفة الشريرة بذلك، وانطلق فرحاً إلى عمه نايف الذي كان يشرف على العمّال الذين يعملون في حقله الأخضر البعيد عن القرية، وحين وصل جنكيز خان الحقل دفع بعلبة الطعام المغلقة إلى عمه وقال جزلاً:



\_ قَوّاك الله يا عمي نايف.

أجابه العم نايف مبتسماً شاكراً:

\_ سلمت، سلمتَ يا جنكيز خان.

راقب جنكيز خان عمه نايف، وهو يفتح الغطاء مغتبطاً، وبلهفة ونهم، وما إن وضع أول لقمة في فيه، حتى صاح وعيناه تدمعان من شدة الملوحة والمرارة اللتين أحرقتا حلقة:

\_ اللعنة عليك، اللعنة عليك، سوف ترين ما سأفعل بكِ.

بصق على الأرض وتوعد.

سأله جنكيز خان بصوت خفيض وقلب مبتهج:

\_ ماذا جرى يا عمّاه؟

\_ ألم تتذوق الطعام يا دبّ؟

صمت جنكيز خان، ولم ينبس ببنت شفة. وكيف لهذا الولد اليتيم أن يتذوق الطعام قبل عمّه، فهو موكل بإيصاله له، ولا يأكل إلا الفتات منه وما يفضل من بقايا عمّه النّهم.

فقال العم نايف غاضباً والشرر يتطاير من عينيه:

– إنَّ ابنة الحرام وضعت ملح القرية كله في طعامي.  
كان جنكيز خان ينظر إلى عمه، والفرحة تغمر قلبه، ولكنه قال  
له ليطيب خاطره:

– سامح عمتي.

– وكيف أُسامحها؟

فقال جنكيز خان:

– غلطة صغيرة.

جنّ جنونه وصاح:

– غلطة صغيرة!! غلطة صغيرة!!!

– نعم.

– سنرى.

وهدد مرة أخرى.

حقّق المقلّب الأول نجاحاً باهراً وفوق ما يتوقّع جنكيز خان،  
فحينما عاد العم نايف في ذلك المساء إلى البيت، كان نصيب العمّة  
نايفة من الضرب المبرح والشتم وافراً. فنام جنكيز خان قرير العين،

مرتاح البال.

وفي اليوم الربيعي الثاني الذي أعقبه مباشرة، كان الوقت ظهراً، حيث جهزت العمّة نايفة كالعادة علبة الطعام لزوجها الذي يشرف على العمال في الحقل البعيد بقلب واجف، وسلّمت علبة الطعام إلى جنكيز خان، وعندما ابتعد عن البيت، أضاف هذه المرة كمية من السكر الأبيض الناعم، ولليوم الثاني على التوالي، لم يهنأ عمه بطعامه، فتملّكه غضب وحنق شديداً، وفي المساء عندما وصل إلى البيت، كان الجوع والتعب يقطران منه، وأعماه الغضب والإعياء، فأمسك السوط المتوارث عن أجداده، ولسعها بكلّ غضب وقوّة، على إهمالها وتقصيرها، ونام جنكيز خان ذلك اليوم أيضاً، بلذة ونشوة كبرى، لأن مقلبه الثاني حقّق فوزاً ونجاحاً باهرين.

وفي اليوم الثالث استلم اليتيم جنكيز خان، علبة الطعام المغلقة من عمته الشمطاء نايفة، ولكنها في هذه المرة قرّرت أن تلاحقه خلسة، فتبعته كظله، وكان جنكيز خان في كل مرة يشعر بوخزة ضمير، ولكنّ ظلم العمّة المتراكم هو الذي دفعه مكرهاً إلى هذا السلوك السيئ، فكانت العمّة تعامله معاملة الكلاب الضالة، في حين تدلّل أولادها، وتعاملهم معاملة الأسياد، وعلى مرأى من ناظره. وقبل

أن يصل إلى الحقل حيث عمّه ينتظر طعام الغداء، أخرج من جيب سترته المهلهلة علبة الفلفل الحارّ المسروق من المطبخ، وفتح علبة الطعام المغلقة وأضاف كثيراً من الفلفل إليها، فرأته العمّة نايفة، وكشفت ألعابيه، وعادت إلى بيتها.

وفي المساء عاد العم نايف غاضباً أيضاً، فسارعت إليه وأخبرته بما يفعله ابن أخيه حوّاس بالطعام، فاندفع العم نايف، نحو ابن أخيه كالثور الهائج، ووبخه وضربه ضرباً مبرحاً، وطرده من بيته، وأجبره أن ينام مع الراعي في حجرته الملاصقة لزريبة الحيوانات بقية عمره. فجزّده بذلك القرار الجائر من جميع حقوقه المدنية، ولم يبق أمامه من خيار إلا أن يلجأ إلى الحقوق العسكرية الخيالية.

كان جنكيز خان في تلك الليلة يتألم جسدياً وروحياً، ألمه الجسدي نتيجة الضرب الذي لقيه من عمّه، وألمه الروحي بسبب إبعاده عن المنزل الذي قضى فيه طفولته ومطلع شبابه، فأحسّ بالغربة والوحشة والذلّ والانكسار، صحيح هو يحبّ الراعي نوري ويجلّه، ولكنّ إرغامه على النوم في حجرة الراعي نوري جعله يحس بالقهر ومرارة الظلم وشدة الذل، فبدأ يحلم ويؤسّس لبناء أساس أركان إمبراطوريته الخيالية التي تقوم مبادئها على رفع الظلم والعدوان الواقعين

في العالم، ونشر السلم العالمي، وتوفير الأمن للشعوب المضطهدة من الإمبراطوريات السابقة التي كانت تنهب ثروات الشعوب الأخرى، وتسعى إلى إعادة العالم إلى عصور الجهل والظلام، كي تبقى تلك الشعوب مُستعبدة إلى الأبد. وإنّ الظلم واحد سواء أوقع على الأفراد أم على الشعوب.

وكانت صورة تكوين إمبراطوريته العظيمة تكبر في ذهنه وعقله يوماً بعد يوم، وكان يتخذ في أحلامه اليقظة الراعي نوري الطويل وزيراً له، ومن الأغنام والكباش جيشاً وجنرالات حربيه، ومن الحمار فرساً أسماه كروفاكس، ومن الكلب حارساً شخصياً ومرافقاً له، وأسماه كوجو، ثم ضمّ إلى مشروعه الوهمي، طائر البوم ذا الرأس الكبير والعينين الواسعتين، وعيّنه رئيساً للمخابرات العامة في الأمة الخيالية، في فرع جمع المعلومات، وسمّاها اختصاراً "G.S.T".

وما إن انتهى من تعيين أبطال قصته الخيالية، وتحديد مهامهم، بدأ القائد العظيم يخطّط للهجوم على قرية كودو الحدودية، حيث يقطن عمّه نايف وزوجه اللعينة، فكان الحصار.

\*\*\* \*\*

## حصارُ كودو

انطلق جنكيز خان في اليوم الأول من إبعاده عن المنزل باكراً مع الراعي الطيب نوري وقطيعه إلى أسفل تلة المقبرة العالية، وكانت تلك التلة مواجهةً تماماً لتلة قرية كودو. وكانا يسرحان معاً بالنعاج، وسط المرج الأخضر ذي الكلاّ اللامع، فتخيّل النعاج والكباش جيشاً عظيماً جرّاراً، وتصورَ القريةَ سديماً كثيفاً، يحيط بها من ثلاث جهات وادٍ عميقٌ شديد الانحدار ليس له قرار، يُعرف باسم وادي الموت الأسود؛ لأن كلَّ من يقع فيه لا شكّ في أنّ مصيره الموت المحتوم، ولا ممراً بين التلتين المتقابلتين إلا من جهة الجنوب، فهو المعبّر الوحيد الذي تطلّ منه القرية على العالم الخارجي، وهو الممرّ الأوحّد لدخول أهل القرية وخروجهم راجلين وراكبين، وكانوا يتبادلون مع القرى المجاورة والمدينة جميع حاجياتهم من سلع وخدمات بوساطة هذا الطريق اليتيم الذي يربط التلتين المذكورتين معاً، فكانت الخطة الأولى التي لاحت في فكر الإمبراطور جنكيز خان هي حصارُ كودو.

فصاح الإمبراطور عالياً:

— اضربوا خيامكم، وسرادقكم هنا.

أجابه الراعي الوزير الوحيد:

– سمعاً وطاعةً، يا مولاي.

فقال القائد العظيم:

– إني لا أرى ذا العينين الواسعتين.

أجابه وزير الحرب والسياسة الخارجية سريعاً:

– طار إلى القرية.

– لمّ؟

– لجمع المعلومات.

– أودّ رؤيته، في حال العودة سالماً غانماً.

– بأمر مولاي الخان صاحب أعظم إمبراطورية وهمية وأقواها في

العصر الحديث.

– شكراً، شكراً يا سعادة ونستون تشرشل.

– عاش جنكيز خان العظيم.

فردّ عليه القائد العام للقوات الغنمية:

– حفظتك السماء والأرض يا ونستون.

كان البوم ذو الرأس الكبير والعينين الواسعتين يرفرف عالياً بجناحيه القصيرين حول القرية المحاصرة من قوّات الأمة الخيالية، وكان يجيل برأسه الكبير في كل مكان، يفتش بهمة عن الثغرات ونقاط الضعف والقوّة في جبهة الأعداء، وعلى عاتقه كان يقع نشر أخبار كاذبة ومضلّلة بين الأهالي، بهدف تحطيم الروح المعنوية للعدوّ، فالحرب - كما يقال - خدعة، وقد شهدنا مثلاً هذه الاستراتيجية في عصرنا الحالي وقد عُرفت باسم الحرب الإعلامية التي لا تقل قوّة وحسماً عن قوّة الحديد والنار في المعركة.

وأخيراً جمع الطائر قدراً وافراً من الأخبار التي تسهّل على جيشه الهجمات على أعدائه بأقلّ خسائر ممكنة، أو قد تفتح المجال لحلّ سلميّ مستقبلاً.

صاح القائد الأعلى:

\_ أين أنت يا كروفاكس؟

نهق كروفاكس بصوت مرتفع:

\_ أنا هنا.

فقال القائد العام للجيش والقوات الغنمية المسلّحة أمراً بصوتٍ



رنان:

– ارفع راية الأمة الخيالية التوسعية عالياً.

– أمرٌ مولاي الخان.

استعدّ جميع أفراد الحاشية، لتحيّة الراية الصباحية، حيث رفع أفراد الجيش الغنميّ والجنرالات الكباش رؤوسهم نحو الأعلى، خشوعاً وتهيباً لتحيّة راية الأمة المقدّسة رمز العزة والكرامة الضائعين حتى الآن، ووقف صاحب جميع الوزارات بجانب القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الأمة الخيالية منتصباً مثل القلم، في حالة استعداد جليديّ صلب، في حين وقف كوجو الحارس الشخصي خلف سيّده الخان العظيم، رافعاً إحدى قوائمه دائماً إلى الأعلى كأنه مصاب بمرض السكري، بينما اتخذ الحصان كروفاكس وضعيّة الاستعداد التام أمام سارية العلم في الخلاء الشاسع، ثم في لحظات سريعة رفف علم الأمة الأخضر عالياً في الهواء، وكان في منتصف الراية صورة قرن كبشٍ ملفوف، وكان مرسوماً بماء الذهب ومطرزاً بخيطٍ من الفضة، ثم أعطى الإمبراطور الذي لا يقهر أبداً أمره بالبدء بأغنية الأمة الخيالية منادياً:

– هيّا ابدؤوا.

كانت رعايا الأمة ما تزال واقفةً في حالة استعدادٍ جليدي  
متشقق. وما إن سمعوا النداء العظيم، حتى ارتفعت الرؤوس، وبدؤوا  
يردّدون بخشوع وجلال أغنية الأمة الخيالية:

حُماة الإمبراطورية

عليكم سلام

حُماة الإمبراطورية

لن نذلّ ونتنازل

حُماة الإمبراطورية

للظلم والظلام

حُماة الإمبراطورية

حلمٌ ووهمٌ

حُماة الإمبراطورية

دوامٌ للعمرِ

حُماة الإمبراطورية

فكرٌ وخيال

حُماة الإمبراطورية

راحةً للبال

حُماة الإمبراطورية

عليكم سلام.

انتهى أداء الأغنية البطولية في تمجيد الأمة الوهمية، والتي  
ستبقى تغنيها الأجيال القادمة على مدى الزمان، وبدؤوا يهتفون بحياة  
قائدهم العظيم:

\_ عاش الإمبراطور جنكيز خان.

\_ عاش القائد الخان العظيم إلى الأبد.

\_ عاشت الإمبراطورية الخيالية الواحدة.

ثم هتف من بعدهم أفراد خلية الأزمة القرييون من القائد: الوزير،  
وكروفاكس، وكوجو (وكان اليوم غائباً عنهم)، مرددين ثلاث مراتٍ على  
التوالي:

\_ عاش.

\_ عاش.

– عاش.

ثم أتى في البرنامج دور الخطاب التاريخي الذي سيلقيه بعد قليل الخان العظيم قائد الأمة الوهمية، بمناسبة توضيح أهداف الأمة، وتقوية الروح المعنوية لأفراد الجيش الغنميّ المقاتل الذي يُحاصر قرية كودو الحدودية، فكان خطاب القائد من أهم النشاطات الثقافية في الأمة الوهمية.

همس الخان العظيم في أذن الوزير، قبلَ أن يبدأ بإلقاء خطاب الأمة الإمبراطورية التاريخي قائلاً:

– ألم يعد رئيس 'G.S.T'؟

– الطائر ذو الرأس الكبير، والعينين الواسعتين؟

– أجل.

– نعم، لم يعد.

– إنني قلقٌ وخائفٌ عليه بشدة يا تشرشل.

– لماذا الخوف يا مولاي؟

– أخشى عليه أن يقع بيد...

– وهل يقتله؟

ضَحِكَ ملك الملوك قائلاً:

– سيقنتله، وبدمٍ بارد. إن وقع بيد عمي نايف الظالم.

– لا سمح الله يا سيدي.

وأكد الخان العظيم:

– إنه سينتف ريشهُ ريشةً ريشة.

– يا لطيف!!

– وسيشويه على نار حامية.

– يا رحيم!!

– وسيجعله وليمة لأهل القرية.

– يا جبّار!!

فسأل وزير الأوقاف قائده الأعلى:

– لمَ هذا الحقد يا مولاي؟

– انتقاماً مني، فهل عرفت الآن يا وزير سرّ قلقي؟

– عرفتُ جيداً.

فقال القائد:

– هيّا، اذهب الآن.

– سمعاً وطاعةً.

ثم انحنى بخشوع.

\*\*\* \*\*

التفت إمبراطور أحلام اليقظة إلى وزيره الوحيد الذي يعمل رئيساً لجميع وزارات الأمة التوسعية السلمية، والعائد توأً من جولته التفتيشية، فسأله:

– ألم تَجْهز منصّة الخطاب بعدُ يا نوري؟

– لم تجهز بعد.

واصل القائد العامّ المساءلة مع وزير التفتيش والتفقد عن الوضع الميداني، فسأله:

– وهل جيشنا الغنميّ وجنرالاته الكباش منتشرون انتشاراً جيّداً؟

– أجل يا مولاي.

\_ وماذا عن التحصينات يا وزير؟

\_ سيدي الخان، لقد بنينا السواتر الترابية العالية على طول الجبهة وعرضها مع العدو.

\_ أحسنتم.

\_ شكراً مولاي.

وكان الخان يطرف بجفنيه بين فينةٍ وأخرى، بسبب تأخر الخادم في تقديم الحليب الطازج إلى جلالته، ثم أكمل ما تبقى من جلسة مساءلة وزير التفقد والتفتيش، فسأله:

\_ وماذا عن التحصينات الخفيفة؟

\_ سيدي الخان، جهّزنا لكل عسكريٍّ غنمي حفرته الخاصة به.

كانت أجوبة وزير التفتيش تستحوذ على رضا الخان، فتابع أسئلته:

\_ وهل وزّعتكم الكمادات؟

\_ ليس لكل الأفراد يا سيدي الخان.

احمرّ وجه جنكيز خان العظيم واصفرّ، وصاح:

\_ هذا غلط.

أجاب الوزير بصمت كالهمس:

\_ أعرف.

\_ أتدرك، أيها الوزير؟ أقسمُ بالعلم الأخضر، إنَّ نقطة دم من رعايا الأمة الوهمية يعادل عندي بحراً من الذهب، واللؤلؤ، والياقوت، والمرجان.

\_ لا شكّ في ذلك مولاي.

\_ إذاً عليك تأمين الكمّات بأي ثمن، ولجميع رعاياي.

\_ أمرك مولاي.

انتهى دور المفتش في جلسة المساءلة، فربت الإمبراطور على ظهره لبيثّ فيه العزيمة والشجاعة، ثمّ نظر إلى يساره، فرأى مرافقه الشخصي جالساً على قائمته الخلفيتين، وكان لسانه الأحمر يتدلى من بين فكّيه العريضين، وكان يلهثُ ويتنفسّ تنفساً سريعاً، فسأله الخان:

\_ كيف تسير أمور التدريب بين أفراد الجيش الغنمي؟

أجاب كوجو المصاب بداء السكري:



– يجري التدريب بحماسة، وعلى مستوى عالٍ من الحرّية.

– وهل كل الجنرالات الكباش في ساحات التدريب؟

– نعم، سيدي الخان.

سأله الخان العظيم غاضباً:

– ألم تجهز منصّة الخطاب بعدُ يا كوجو؟

– ليس بعد.

كان في ذلك الوقت كروفاكس الفرس الإمبراطوري الأصيل يرمى الكلاء الأخضر الطازج، فصرخ فيه الخان قائلاً:

– كرو، هل أنت جاهز لخوض المعركة؟

أجاب ناهقاً:

– وكيف لا يا مولاي الخان العظيم؟

– وإذا طلبت منك أن تعبر بي فوق وادي الموت الأسود؟

حفر الأرض بحوافره الأربعة كسيّارة دفع رباعية، ثم نهق نهقةً

عالية:

– أنا بيغاسوس.

فقال جنكيز خان العظيم:

\_ عظيم يا بيغاسوس.

\_ شكراً مولاي.

ثم سأل القائد الحصان الطائر:

\_ وماذا بشأن المنصة؟

\_ لم تجهز بعد.

في ذلك الوقت تَجَهَّم وجه الخان العظيم، وأخذ نفسه يزداد شهيقاً وزفيراً، وكاد أن يفقد السيطرة على نفسه، ثم رمق أفراد خلية الأزمة فرداً فرداً؛ الراعي، والحمار، والكلب، وكان رئيس فرع المعلومات غائباً عنهم، وقبل أن ينفذ تهديده، ويعلن عن حالة الطوارئ، بسبب تأخرهم في تجهيز منصة الخطاب التاريخي للأمة الوهمية، أعلن الوزير الوحيد:

\_ مولاي، المنصة جاهزة.

\_ الحجر الذي أنا جالس عليه الآن؟

\_ نعم.

ارتاح قائد القوات الغنمية بعد تجهيز منصة إلقاء الخطاب التاريخي المرتقب، ثم بدأ بطرح الأسئلة:

– وهل الكل حاضرون؟

– نعم، سيدي، الجنرالات الكباش واقفون في الصفوف الأمامية، كما ترى.

– عظيم.

– ومن بعدهم يا مولاي، أفراد القوات المسلحة الغنمية الشجعان، وهم مستعدون لأكل الأخضر واليابس بلا رحمة، والدفاع عن أمن الأمة الوهمية وسلامتها، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، وهم رمز التضحية والفداء.

– عظيم جداً، أن يبقى مثل هؤلاء الجنود يُقدِّرون أمتهم.

فسأله القائد:

– وما أخبار رئيس 'G.S.T'؟

– لم يعد بعد مولاي.

– شكراً لك، وأحسن يا وزير.

انحنى الوزير.

كان تفقد اليوم، حضوراً كاملاً، باستثناء غياب مبرّر واحد.

تأمّل القائدُ الحالمُ بعين الخيال الحاشيةَ والرعايا من حوله، الكل كانوا حاضرين، ولكنه لم يرَ الصحافة والإعلام، فسأل حصانه كروفاكس وهو يستعدّ لإلقاء خطاب حال الأمة الشهير:

– إنني لا أرى الصحافة والإعلام؟

أشار كروفاكس بعيداً وهو يقول:

– ها هم يا مولاي.

– أما من إشارة؟

– انظرْ إلى يسار المنصّة يا سيدي.

– أوه، ها هم بريس.

– مولاي. مكتوب بالأصفر.

– ممتاز يا كرو.

– شكراً، سيدي.

اطمأنّ قلب إمبراطور الوهم والخيال لمرأى طواقم الصحافة

المدعوة التي تقوم بالتغطية الحيّة والمباشرة للحدث الجلل العظيم، وقد جاؤوا خصيصاً لتلبية الدعوة الموجهة إليهم، بمناسبة إلقاء الخطاب التاريخي المرتقب للإمبراطورية التوسّعية السلمية، وكان الكلّ في حالة هدوء تامّ، يتربّون باهتمام بالغ ما ستسفر عنه نتائج الخطاب.

وحين همّ القائد العظيم بالبدء، جاء الخادم أخيراً بكوب الحليب الطازج، فشكره القائد، وشرب الحليب، ثمّ تحدّث قائلاً:  
أيها الكباش الجنرالات العظيمة، أيتها القوات الغنمية الباسلة، أيها الصحافيون، يا خلية الأزمة المُخلصين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد:

فأنتم حُماة الإمبراطور، أنتم حُماة الإمبراطورية الخيالية التوسعية السلمية...

فقطعت أصواتٌ عالية من الحناجر الحيوانية والبشرية خطابه، وهي تهتف وتخرخر بحدّة وانفعال:

\_ عاش الإمبراطور جنكيز خان... عاش الخان العظيم...

عاشت الأمة الخيالية الوهمية.

رَدَدَ مِنْ بعدهم المجلس العسكري ثلاث مرات متتاليات:

\_ عاش... عاش... عاش.

ثم أكمل القائد العظيم خطاب الأمة قائلاً:

أنتم موردنا الاقتصادي، وبكم نفتخر، وبكم تتحقق التوازنات والاستراتيجيات الغذائية في المنطقة والعالم، أنتم أمل الأمة الخيالية في نشر السلام العالمي، أنتم أبطالها الشجعان، أنتم رمز الفداء والتضحية المستمرة، أنتم شهداء الأمة الوهمية، أنتم أعتى جيش في الدنيا، أنتم... وأنتم... وأنتم...

أيها السادة الكرام، كما تعرفون، إننا في حربنا هذه، في مواجهات شرسة ومفتوحة مع العدو الآثم والظالم من جماعة أهل قريتي كودو الحدودية، وعلى رأسهم عمي نايف وزوجته نايفة، وها أنا الآن من أعلى هذه المنصة الحجرية، أُلقي عليكم خطاب حالة الأمة الخيالية السلمية، وأقرّر فيها الإعلان الرسمي بالهجوم على قرية كودو وأهلها الجاحدين والحاquدين، وأنعهد بمقدّسات الأمّة من رايتها الخفّاقة، وأغنيتها الوطنية، وجيشها السلمي الأممي، أن أعذب رأس الفتنة ومعدّبي العمّ نايفاً وزوجته نايفة خاصةً، طالما يجري في دمي دم

البشر الأوائل.

وقررتُ أن أنتقم وأثأر من أهل قريتي جميعاً رجالاً ونساءً،  
باستثناء فلذات أكبادي الذين أحبهم حباً جماً، ولأنهم أجيال  
المستقبل في نشر العلم والمعرفة، وهم دعائم المستقبل.

فإنني أرى -من وجهة نظري- أنهم كلهم آثمون ظالمون، فمنذُ  
كنتُ صغيراً أعيش بين ظهرائهم، وحتى هذه اللحظة التي أقف فيها  
أمامكم يا أفراد حاشيتي البواسل، لم ينصروني أحد، ولم يدافع عني  
أحد من أهل قرية كودو، ضد الأيدي الظالمة التي أبعدتني عن أبسط  
حقوقى وهو التعليم، وحرمتنى من التمتع بالحياة بحرمانى من ميراثى  
الذى أستحقه، كى لا أعيش ميسور الحال مع باقى أبنائهما، فعوملتُ  
معاملة اليتيم، وكأني لم أولد فى فراش شرعى، بل كأني لقيط أخذوه  
من أمام باب جامع أو كنيسة، فأين العدل مما تسمعون، وأين الحرية  
وأين الاشتراكية وأين الديمقراطية؟ كلها شعارات وهمية وخيالية ترنّ  
فى الأسماع جميلة، ولكنها تتطاير مع الهواء مثل فقاعات الرغوة.

ولهذا قررتُ بالتوافق والإجماع مع أفراد خلية الأزمة الشجعان،  
أن أغزو قرية كودو المحاصرة، فهى قريتى التى ولدت فيها على فراش  
شرعى، يوم سقوط النيزك الأحمر من السماء المكفهرة، وكلكم

تشهدون بذلك، وأنتم تعرفون المؤامرة الدنيئة التي حاكها عمي وزوجته لقتلي وأنا طفل رضيع في المهد، فيجب عليّ ضمّ جميع الأراضي الزراعية إلى أراضي الإمبراطورية التوسعية السلمية، وإعادة توزيع الملكية توزيعاً عادلاً بين الأهالي.

أنا الإمبراطور العظيم جنكيز خان إمبراطور الوهم والخيال وأحلام اليقظة، وأنتم تعرفون أن الملوك والسلاطين إذا هددوا فعلوا، وتقول الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِنَةً﴾، وإنني سأفعل كما يفعل الملوك والسلاطين وإنني سأئر على دربهم إن لم يستسلموا صاغرين خانعين.

وعلى الإعلام والصحافة الحرّة غير المقيدة أو المنحازة لجهة معيّنة، أن تنقل الأخبار بكل صدق وشفافية، فيما يتضمّن خطابنا التاريخي الذي سيبقى ذكرى ستتذكرها أجيالكم القادمة في أعيادها ومناسباتها المجيدة، وليعلم الحاضر الغائب أنّ أهداف الأمة الخيالية السلمية القائمة أركانها الأساسية على الوهم والخيال...

كاد الحشد المتجمع الغفير أن يهتف، إلا أن القائد الخالد رفع يده عالياً مانعاً إياهم من فعل ذلك، ثم أكمل خطابه متحدثاً:

إنّ هدفنا أن ننصر الضعيف على القويّ الظالم، فأما اليتيم



فسوف نجد له المأوى ولن يُقَهَّر، وأمّا الجائع المسكين فسوف نطعمه ولن يَفْقَر، وأمّا الملهوف فسنغيثه ولن يُنْهَر، وأمّا المنحرفين والشاذين فسنعيد تأهيلهم من جديد تحت إشراف ذوي الكفاءة والضمير، لتقليل الجرائم، وسنؤمّن الرعاية الصحية بثمن معقول بما يتناسب ودخل الرعايا بعيداً عن القطاع الخاص الجشع الذي يدور بالدرجة الأولى وراء المنفعة الربحية ضارباً بكل الحقوق الإنسانية عرض الحائط، متجاهلاً مأساة فقراء الأمة الوهمية ومساكينها، هذه الأمور كلها مدوّنة في دساتير الأمة وقوانينها، وسننشئ جمهوريتنا الفاضلة بأيدينا، وسنشمّ فيها عطر داليا ودلال وديلبر، وسنحاسب المقصّرين.

وأقسّم بنشيد الأمة الوهمية الغالي، وأقسّم براية الأمة الخفّاقة رمز العزة والكرامة الوهمية، إذا ما رأيتُ فقيراً أو مظلوماً على أحد كواكب المجموعة الشمسية، حتى ولو كان على الشمس نفسها، فلن أتقاعس عن الدفاع عنه، ثم أختتم خطابي بهذه العبارة: إن لم تقرأ فأنت ميت.

وأخيراً. وليباركني وليبارككم إله السماء الأوحّد، وأنا إمبراطوركم الأوحّد على الأرض، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا شعبي الأبّي العظيم.

دوت هتافات عالية، وتصفيق حار من الحاضرين، رداً على الخطاب الحماسي الذي ألهب قلوب الجميع، وانتشرت الأصوات في أرجاء الخلاء المترامي الأطراف مردّدة بصوت واحد:

\_ عاش ملك الملوك جنكيز خان... عاش الخان العظيم...  
عاش الإمبراطور الأوحد.

ثم ردّد بعدهم أفراد خلية الأزمة الأبطال:

\_ عاش... عاش... عاش.

أنهى جنكيز خان العظيم خطابه التاريخي لحال الأمة الخيالية بسلام، من دون حوادث تُذكر، سوى حادثٍ فرديّ بسيط، حيث مُنعت إذاعة كوكب المريخ الجار من الحضور لتغطية أحداث الخطاب المهمّ، وذلك بسبب إعلامها المضللّ والمعادي لسياسات الأمة الوهمية، فكانت تنشر الأكاذيب والتلفيقات الزائفة على لسان القائد الأعلى، ثمّ توجّه القائد إلى خيمته الشعريّة، وطلب اجتماعاً عاجلاً مع مجلسه العسكري، لبحث آخر المستجدات والتطورات على صعيد جبهة الحرب الممتدة مع قرية كودو المحاصرة.

ولكن أُجّل الاجتماع لعدّة أسباب، أهمّها غياب رئيس فرع جمع المعلومات لانشغاله بقضايا جاسوسية خارج أرض الأمة الوهمية،

والسبب الآخر حلول المساء، فإنه يعني عودة القطيع إلى القرية.

فقام صاحب المقام الأعلى قائلاً:

– فلنؤجّل جلسة المناقشة إلى صباح الغد التالي.

وهكذا رفعت الجلسة.

\*\*\* \*\*

في صباح اليوم التالي، وبينما كان القطيع منتشرًا من جديد بعشوائية، حيث يرعى في المرج الأخضر أسفل تلة المقبرة العالية، بدأ محرك أحلام اليقظة ينشط في عقل جنكيز خان، ليكمل ما بدأه من أحلامه اليقظة.

كان الخان جالساً في خيمته الشعرية، عندما دخل عليه مُرافقه وحارسه الشخصي كوجو بنفس متقطع ولاهث قائلاً:

– مولاي الخان العظيم.

فقال جنكيز خان العظيم:

– ماذا وراءك يا كوجو الوفي؟

– بُشرى.

\_ ماذا؟

\_ إنّ رئيس 'G.S.T' يريد أن يراك في الحال.

\_ دعه يدخل حالاً.

\_ بأمر مولاي جنكيز خان العظيم.

وعلى إثرها دخل طائر البوم ذو الرأس الكبير والعينين الواسعتين،  
فاكتمل عدد عناصر خلية الأزمة الأممية، وبدؤوا الاجتماع من أجل  
دراسة الخُطط والأساليب المتبّعة في الهجوم الوشيك على قرية كودو  
الحدودية.

فقام القائد مرحّباً:

\_ شكراً لإله السماء الأوحد، لأنك عدت سالماً إلينا اليوم بغير  
أذى.

\_ كلّي شُكراً وامتنان لك يا مولاي.

جلس القائد الأوحد وسأله:

\_ هات ما عندك يا ذا العينين الواسعتين.

أجابه بلغة الطيور:

– مولاي أنت تعرف قرينتك أكثر منّي، فهي محاطة من ثلاث جهات بوادي الموت الأسود، ومن جهة الجنوب تحصينات العدو كثيرة لا تُعدّ ولا تحصى، فهذه تجعل مهمّتنا صعبةً وعسيرة، وتكلّفنا خسائر لا قدرة لنا على تحمّلها، وعندني خبر سارٌّ.

فسأله القائد الأعلى:

– ما الخبر السارّ لديك؟

أجابه البوم رئيس فرع جمع المعلومات عن العدو الخارجي:

– لن تصدّق.

– زدني تشويقاً وإثارةً.

– ابن عمّك البكر.

– سيراج؟

– نعم.

– ما به؟

– يريد أن يعقد معنا اتّفاقاً سلمياً.

– من دون علم أبيه عمّي نايف؟

\_ أوجل مولاي.

\_ وهل جلست معه؟

\_ نعم.

قطع حديثهم الوزير الراعي الذي نشأ وترعرع في بيت العم نايف قائلاً:

\_ لا تستغرب مولاي، هكذا يجني الظلام نتائج أعمالهم.

ثم تابع الوزير المتعلم:

\_ سيدي الخان، ألا تعرف المثل القائل: "كما تزرع تحصد"؟  
فهذا ما كان، ولا غرابة في أن يبيع أباه.

فقال جنكيز خان العظيم مشيداً بوزير حربه:

\_ صدقت أيها الوزير الحكيم.

فقال رئيس 'G.S.T':

\_ لسنا متأكدين بعد من التزامه بالاتفاقية إلا بعد الضمانات  
الكافية لحمايته وتأمين منصبه.

فقال القائد للطائر:

\_ شكراً لك. دعنا نتشاور وندرس الخطط البديلة، في حال لم  
نصل إلى أيّ حلّ أو اتفاقٍ سلميّ بيننا.

\_ أشكر جلالته الخان على منحي ثقته.

بسط ذراعيه وامتنع عن الكلام، وكان القائد الخالد ملماً بلغته،  
وجميع لغات الكائنات الأخرى. ثم احتدّ الحوار الدائر بين أعضاء  
خليّة الأزمة والقائد، بشأن طريقة دخول جيش الإمبراطورية الخيالية إلى  
قرية كودو الحدودية، فقال وزير الحرب:

\_ عندي خُطة بشأن الدخول يا مولاي.

\_ أفصح لنا عن خُطّتك.

\_ مولاي دعنا نستخدم معهم طريقة لِيّ الذّراع.

فقال القائد المستمع:

\_ اشرح لنا، ما تتضمنه طريقة لِيّ الذّراع.

\_ هي أن نختطف فلذات أكبادهم يا مولاي.

فقال الإمبراطور العظيم غاضباً:

\_ طريقة جبانةٌ تُنافي قوانين الأمة الوهمية ودساتيرها، ألم تقرّها

يا نوري؟!

– بلى يا سيدي. ولكنها طريقة فعّالة، وستأتي بنتائج سريعة ومثمرة.

ثم اشتدّ غضب القائد وعناده أكثر عندما ردّ:

– كلاً، مرفوضة تماماً.

حين رفضَ القائدُ الأعلى العملَ بِخُطةِ الوزيرِ للهجومِ جملةً وتفصيلاً، تفوّهَ رئيسُ 'G.S.T' بغباء:

– مولاي، لماذا لا نتّبع معهم سياسة الأرض المحروقة؟

– كيف؟

– بحرق منازلهم، بما فيها المحاصيل الزراعية.

– تابع!

– فييقون جياً، ثم يستسلمون بالنهاية.

– كلاً.

– إنّها الحرب يا مولاي.

– لا أوّمن بهذه الحرب القذرة التي تؤدّي إلى هلاك كل شيء،



ولستُ مجنوناً.

– أمرُ مولاي الخان.

ثم انسحبَ مُخيَّبُ الآمالِ، فقال كوجو الكلب المُخلص المرافق  
لسيِّده:

– سيِّدي ومولاي، عندي اقتراح. هناك جبٌّ وحيدٌ في القرية  
تصلح ماؤه للشرب، لماذا لا نسّمه؟

– تابع. كُلِّي آذانٌ مُصغية.

– والماء سرّ البقاء.

– أكمل.

– خلال أقلِّ من يومٍ، يستسلم أهلُ القرية صاغرين كما أسلفت  
سابقاً.

أجابه القائد الحالم:

– يُرضيك أن يهلك الأطفالُ عطشاً، وتُزهق الأرواحُ البريئة؟!!

– أستميحكُ عُذراً مولاي، هذه قوانين الحروب، كلُّ شيء فيها  
مباح، من تدميرٍ للبنية التحتية، وقتلٍ، وتهجيرٍ قسريٍّ وجماعيٍّ للأهالي

من الطرفين، ففي الحروب تختفي الأخلاقيات وتنعدم الإنسانية من الوجود.

– مرفوض.

– بامرٍ مولاي.

لم يوافق الإمبراطور أيضاً. فتدخّل كروفاكس الحصان الإمبراطوري الأصيل قائلاً:

– إذاً لم يبقَ أمامنا، يا مولاي، سوى الاتفاقِ مع سيراج ابن عمّك نايف.

خيّم صمتٌ حزين وكئيب على الأجواء.

فصاح الإمبراطور منتشياً:

– وهو المطلوب.

وأبدى الجميع رضاهم على اقتراح كروفاكس فرس جنكيز خان العظيم، وأصدر الأعضاء المجتمعون من أجل عقد اتفاقية السلام السريّة مع العدو المحاصر نصّاً واضحاً صريحاً، وهو تسليم العمّ نايف إلى الأمة الخيالية لقاءً ضمانٍ حقيقيّ بتسليم سيراج منصباً رفيعاً في القرية، ثم يؤمّن سيراج بالمقابل دخولَ القوات الإمبراطورية بسلام إلى

أراضيها.

عُقد اتفاق كودو بين الطرفين المتخاصمين، وسُلّم العمُّ نايف،  
وُضِعَ بموجبه في السجن. وفي نهاية اليوم ومع حلول الليل عاد  
جنكيز خان والراعي مع القطيع إلى أحضان القرية.

\*\*\* \*\*

## صلح كودو

ذات يومٍ صباحيٍّ هادئٍ مشمس، انعقدت المحكمة العسكرية الخيالية لإصدار حُكم عادلٍ على العمّ نايف الأسير، في أسفلِ تلةٍ المقبرة، وعند شجرة اللوز الوحيدة التي سُمّيت فيما بعدُ بشجرة التعذيب. اجتمع الراعي وجنكيز خان بقطيع الأغنام ومعهما الحمار والكلب وطائر البوم الذي كان يحلّق فوقهم، مثل قاذفة F16 المقاتلة، ثمّ استعدّوا لترديد شعار الأمة الوهميّة، فتحرّك كروفاكس ونهق عدّة نهقات طويلة (ممثلاً البوق)، فصاح الإمبراطور جنكيز خان عالياً:

– حلمٌ ووهمٌ، فكرٌ وخيال.

ردّد أفراد الجوقة: الراعي والكلب والحمار:

– دوامٌ للعمرِ وراحةٌ للبال.

وما إن انتهى الاجتماع الصباحي المختصر، حتى أُعلن رسمياً خبير وقوع العمّ نايف أسيراً بيد الإمبراطورية التوسّعية السلمية، فكانت خليّة الأزمة مجتمعةً حول القائد العظيم الذي أسند ظهره إلى شجرة اللوز الوحيدة في ذلك الخلاء الشاسع.

فسأل القائد جنكيزُ خان وزيرَ حربِه:

\_ كيف حال أسيرنا؟

\_ على أفضل حال يا سيدي.

\_ وهل شددتم الحراسة عليه جيداً؟

أجابه الوزير الراعي واثقاً:

\_ خير تشديد.

تابع الخالد أسئلته الاستجوابية:

\_ ألم يشتك من شيء ما؟

\_ بلى، سيدي.

\_ وما هو؟

\_ لن تصدق مولاي.

\_ شوقتني يا وزير!!

\_ يريد أن يرى زوجته نايفة.

ساد صمت قصير؛ إذ فكر إمبراطور الوهم والخيال، متعجباً من أمر عمه نايف الأسير الذي لم يخف ولم يفكر في مصيره، في حين كان يفكر في أحوال زوجته نايفة، ولم يكن قد غاب عنها إلا سويحات

قليلة، فالإنسان كلما تقدّم في العمر واقترب أجله، ازدادت لديه عواطف الحبّ، وتعلّق أكثر بشريكه في العشرة، وعندما يفارق أحد الشركاء شريكه الآخر، تاركاً إيّاه لعواصف الزمن من ألم وحزن من بعده، يغزوه اليأس والقنوط سريعاً، ويتضاءل الأمل والحبّ تدريجياً في نفسه المحطّمة بسبب فقدان الأبدّي، فالعشرة الطويلة والعمر المديد يولّدان الحبّ مثلما يولّد الدينامو الكهرباء، جارفاً معه كلّ الصعوبات من أمامه، هكذا كان حال العمّ نايف وهو يمرّ في أقسى ظروف الحياة، وعلى الرغم مما كان ينتظره من مصير مجهول؛ لأنه سيّمثّل قريباً أمام المحكمة العسكرية الوهمية التي ستصدر حكمها بحقه بعد الدراسة والتشاور الجماعيّ. ولكنه لم يطلب شيئاً غير رؤية أمّ سیراج.

فسأل رئيسُ المحكمة العسكرية الخيالية وزيره:

\_ ألم يطلب شيئاً آخر؟

\_ مثلُ ماذا مولاي؟

\_ رؤيتي مثلاً.

\_ لا.

فقال جنكيز خان العظيم:

\_ اذهب، وتفقد أحواله.

\_ أمرُ مولاي الخان.

انحنى وذهب.

ثمّ توجّه الخان العظيم بسؤاله إلى المرافق كوجو الكلب:

\_ هل احتفلتم بالنصر السلمي، يا كوجو؟

\_ نعم سيدي، أطلقنا إحدى عشرة طلقة مدفعية.

\_ وماذا عن الألعاب النارية؟

\_ لقد جعلنا السماء نهاراً.

فقال القائد بفخرٍ واعتزاز:

\_ وهل سقيتم أفراد الجيش الغنميّ والجنرالات الكباش نخب

النصر؟

\_ جرت بغزارة نهر النيل العظيم يا مولاي.

وأمره القائد المنتصر بأسئلته:

\_ وهل قدّمتم المناسف الدسمة؟

\_ نعم، سيدي.

\_ وهل كانت كافية؟

أجابه كوجو المريض بامتنان:

\_ خيرك بحر لا حدود له مولاي.

\_ ما نوع المناسف التي قدّمتموها؟

رفع كوجو خطمه الطويل مُستنشقاً الهواء من حوله وأجاب:

\_ جرجير بالفلفل الأسود، وخبيزة بالسمن العربي، وقشر البطيخ

الأصفر، وبذور القرع الأبيض، والزعر البريّ المخلوط بأجود أنواع

السّمسم، والتبن الناعم المخلوط مع الشعير الأسود، والشوفان أيضاً.

\_ وما نوع الحلوى؟

\_ لقد قدّمنا المناسف الدسمة يا مولاي.

\_ أقصد التحلية.

\_ عفواً مولاي، وزّعنا عليهم حلوى الملح الصخري الناعم، وهي

من أفضل أنواع الحلويات في السوق.

\_ أشكركم، وأحسنتم صنعاً أنت وأصدقائك الشُّجعان.

لاحت الابتسامة الذُّببية على وجه كوجو، وأجاب:



\_ لا شكر على واجب مولاي الخان.

ثم انسحب كوجو سريعاً، ورفع إحدى قوائمه الخلفية إلى الأعلى، بعد إدلاء شهادته بأمانة وإتقان.

نزل بعدها طائر البوم من السماء، وحطّ على عُصن شجرة اللوز قريباً من رأس الإمبراطور جنكيز خان، وهزّ الرأس الدائري ناعقاً، وتحدّث مع القائد بلغة الطيور:

\_ كيف حالك مولاي؟

أجابه قائد الخيال:

\_ بأفضل حال يا بوم.

منذ أن استلم ذو العينين الواسعتين هذا المنصب الرفيع، لا يهدأ بالاً عن البحث والتقصّي عن الحقائق والمعلومات ثانياً واحدة، فتراه يذهب تارة إلى أقصى الشمال، وتارةً يذهب ويطير إلى أقصى الجنوب، لا يترك مكاناً إلا ويطير فوقه، يمشط المنطقة تمشيظاً، بحثاً عن عدوٍ قريب، وفي كل يوم تقريباً له تقرير استخباراتي حول المنطقة، يقدّمه إلى إمبراطور أحلام اليقظة، ويعدّ أفضل رئيس فرع معلومات، 'G.S.T' منذ تسلّمه لمهامه، وذلك بسبب نشاطه المحموم

الزائد الذي كان يقوم من دون ملل، ولذلك كان الأقرب إلى قلب الإمبراطور جنكيز خان العظيم.

تابع القائد استجواب رئيس فرع المعلومات:

\_ ماذا لديك؟

أجابه ذو العينين الواسعتين:

\_ معلومات لا تُقدَّر بثمن.

\_ (بقّ البحصّة).

\_ من خلال إحدى جولاتي الطيرانية في المنطقة...

\_ أكمل.

\_ رأيتُ مستقماً.

\_ أكمل.

\_ فيه آلاف الضفادع.

فسأله جنكيز خان العظيم:

\_ متى؟

أجابه ذو الرأس الكبير:

– قبل أن آتي إليك.

– وما الغريب في ذلك؟

– كان فيه بعض الضفادع بحجم النعجة، أما باقي الضفادع فكانت نحيلة وهزيلة، تكادُ تموت جوعاً.

– شيء مقلق، ومثيرٌ للغاية.

توقّف طائر البوم قليلاً، فقال:

– والأغرب يا سيدي، كان نقيقها يفوق نهيق بوق الإمبراطورية  
كرو.

– أثرتَ فضولي يا رئيس 'G.S.T'.

فسأله الخالد:

– هل عرفتَ السبب الحقيقي وراءَ تضخّم أحجام الضفادع بهذا  
الشكل؟

– بالطبع، يا مولاي الخان العظيم.

– ما هو؟

فترة هدوء وراحة.

فقال اليوم بعدها:

\_ ماءً أسود في قاع المستنقع، كما أكد لي جاسوسٌ لنا بينهم.

\_ ماء أسود؟!!

\_ نعم، مولاي الخان.

\_ كم تبعد المسافة من هنا إلى المستنقع؟

أجابه ذو الرأس الكبير واثقاً:

\_ ليس بعيداً من هنا سيدي.

\_ إذاً فلتكن على جدول أعمالنا القادمة، بعد أن ننتهي من قضية

محاكمة عمي نايف ضيفنا وأسيرنا الآن.

\_ أمرك مولاي الخان.

ثم طار رئيس 'G.S.T' عالياً. بعد أن قدّم تقريره المفصّل بدقّة،

ليبحث عن معلومات أخرى وفي منطقةٍ أخرى.

نظر جنكيز خان العظيم حوله، فلم يرَ إلا كروفاكس الحصان

الأصيل، وكان كروفاكس حزيناً كئيباً جداً، حيث قدّم جميعُ أصدقائه

تقاريرهم الصباحية، إلا هو ظلّ في مكانه مطأطئ الرأس، فقد أحسّ

الخان العظيم بمدى ألمه ومعاناته في تلك اللحظة، فسأله الإمبراطور بلغته، لأنه - كما أسلفنا سابقاً - كان يتقن جميع لغات الأحياء قائلاً:

– مزاجك سيئ؟

– نعم، مولاي.

– خيراً؟ قل، فأنا أنصت لك.

– شكراً لك سيدي، لمنحي هذه الفرصة الثمينة، كي أتحدث أمام جلالتك بكلّ حرّية.

– لا تنظر إليّ هكذا.

– إلامَ أنظر يا سيدي؟

– أنت غبي لا تفهم.

– هذا وجعي، إنني خلقتُ ضعيف العقل يا مولاي.

أكد له الإمبراطور العظيم قائلاً:

– اسمع كرو، صحيح أنا إمبراطور، ولكنّ قلبي رقيقٌ وعطوف

ورحيم، وإنّ كثيراً من أقراني ضعاف العقل.

– أعرف ذلك.

\_ كاد الحزنُ يقطرُ منك.

\_ مولاي لا تشبّهني بأقرانك، لأنهم أمامهم فرصة إذا هم حاولوا التخلّص منها، أمّا نحن -الأقلّ مرتبة في السلسلة- فلا أمل لنا بتاتاً.

\_ أعلمُ ذلك.

\_ ماذا عليّ أن أفعل كي أكون أفضل؟

\_ صدّقني يا كرو، مهما قلتُ وشرحتُ فلن تفهم.

\_ لماذا؟

\_ كنّا قطرةً من ماء العباب.

دمعت عينا كروفاكس وغاب عنه بريق الأمل، وحلّ محلّه الحزنُ والاكنتاب، وسأل:

\_ وماذا حصل؟

\_ فأصبحنا بعدها ذرّةً من تراب.

\_ لم أفهم مولاي.

\_ ما أعنيه يا كرو، كنتُ أنا الأخير على هذه السلسلة الطويلة.

فقال إمبراطور الوهم والخيال:

- انهق وأطلق صوت البوق ليدويّ عالياً، لتعلن عن بدء المحكمة العسكرية، بحق ضيفنا وأسيرنا عمّي نايف أبي سيراج.  
- حاضر مولاي.

أطلق بوق الإمبراطورية عدّة نهقات متتالية، فحضر أعضاء المحكمة، وأحضروا معهم العمّ نايف الأسير الظالم من قرية كودو الحدودية، وكان محاطاً بحراسة فردين من القوّات الغنمية المسلّحة البواسل، وكان العمّ نايف مقيدّ اليدين، بذلك الغطاء الذي كانت العمّة نايفة تستخدمه في تغطية رأسها، ووقف أعضاء المحكمة الموقّرون بجانب قائد المحكمة العسكرية جنكيز خان، وعلى أمتار قليلة وقف الأسير بين الحارسين، ثم افتتح الراعي الوزير جلسة المحكمة قائلاً:

- نحن جاهزون يا سيدي.

تدخّل الحارس الشخصي كوجو:

- فلنقف دقيقة صمتٍ إكراماً لأرواح شهداء الأُمّة الخيالية وجرحاها.

ثمّ دوى تصفيقٌ حارّ بعدها.

ومن قوانين المحكمة العسكرية الوهمية، أنه لا يمكن للمتهم أن يتفوّه بكلمة واحدة، ولا يجوز له في أيّ حال من الأحوال أن يوكل المحامين للدفاع عنه. وكان الاقتراح الأول من كروفاكس بشأن إصدار الحكم المناسب قائلاً:

– مولاي الخان، بعد إذن جلالتك وعظمتك.

– تفضّل.

– إن الأسير متّهمٌ بتّهمتين: الظلم والتآمر.

فقال قائد المحكمة:

– أحسنت، بدايةً موفّقة.

– ظالم، لأنه أبعَدَ ابنَ أخيه عن التعليم، وحرّمه من حقّه في

الميراث.

– وماذا أيضاً؟

– ومتآمر، لأنه كاد أن يعمل بمشورة زوجته، في قتل ابن أخيه

الصغير يوم سقوط النيزك الأحمر.

فسأله القائد العادل:



\_ ما الحكم الذي تراه مناسباً بحقه؟

\_ الحكم العادل...

\_ ما هو؟

\_ القتل.

\_ كيف؟

\_ الرمي بالرصاص.

سأله رئيس المحكمة المنعقدة:

\_ وهل ما تراه هو حكمٌ عادلٌ؟

أجابه كروفاكس:

\_ أغلب المحاكم العسكرية، تُفضّل أن ترمي المجرمين

بالرصاص الحيّ سيدي.

\_ طريقة التنفيذ غير مستحبة، وإنني لا أحبُّ منظر الدماء.

\_ أمرك مُطاع يا سيدي.

\_ هل لديك سؤال آخر؟

\_ لا، سيدي.

– انتهى دورك.

– حسناً.

وكان لدى كوجو مرافق الإمبراطور اقتراحٍ ثانٍ؛ إذ قال:

– مولاي، بعد إذن عظمتك وجلالتك.

– تفضّل يا كوجو.

– إنّ الأسير متمرد.

– أكمل.

– إنّهُ تمرد وعصى، وخرج عن طاعة حاكم الأمة الوهمية. ألم ترَ

يا سيدي كيف حرّض أهل القرية للوقوف ضدّنا؟

– بالطبع يا كوجو.

فقال الرئيس هات ما عندك.

– أطلبُ من سيّدي العظيم، ومن أعضاء محكّمته الموقّرين أن

يأخذوا بمشورتي في اتّخاذ الحُكم المناسب، وأن تكون عقوبته رادعة.

– ما العقوبة التي تقترحها؟

– تقطيع أطرافه.

سأله رئيس المحكمة متعجباً:

\_ كيف؟

\_ سيدي رئيس المحكمة العسكرية، لتنفيذ هذه العقوبة نحتاج إلى أربعة من جنرالات الكباش القويّة.

\_ لماذا؟

\_ نربط كل طرف من أطراف الأسير بقرن جنرال كبش.

\_ أكمل.

\_ ثمّ يتّجه كلّ كبش باتجاه معاكس، وهكذا نكون قد حقّقنا حكماً مناسباً على المتمرد الأسير.

\_ أكره القتل.

رفع كوجو المصاب بداء الشُّكري إحدى قوائمه الخلفية

وأجاب:

\_ سيدي، لا تنس أننا في محكمة عسكرية، ولسنا في محكمة

مدنية.

\_ حسناً.

فقال كوجو الذي أفرغ مثنائه بعجل:

\_ دعنا ننفذ الحكم فيه الآن.

\_ آه منكم يا معشر الحيوانات، كم تحبّون القتل، وتستلذون بأكل الفريسة.

أجابه كوجو:

\_ نحنُ أبناءُ الغابة، وسنظلُّ أبناءُ الغابة، لذا علينا أن نطبّق قانون الغاب، فهي شريعتنا في الحكم، وأرجو التنفيذ فوراً.

فقال القائد:

\_ يا كوجو الوفيّ، نحن البشر، ولو ظلم بعضنا بعضاً أو قتل بعضنا بعضاً، نظلُّ أرقى منكم دائماً.

\_ أمرٌ مولاي.

فسأله الرئيس الخالد:

\_ هل لديك ما تُضيفه؟

\_ لديّ سؤال بسيط.

\_ تفضّل.

– هل وضعي على السلسلة أفضل من وضع كرو؟

أجابه الرئيس:

– لست بأفضل حال منه.

– شكراً جزيلاً لرئيس المحكمة الخيالية.

– انتهى دورك.

– حسناً.

كانت أحكام الحيوانات في جلسة المحكمة الوهمية المنعقدة تدعو كلها بوضوح وصراحة إلى القتل وسفك الدماء، وكان حكم الغائب عن جلسة المحكمة أيضاً واضحاً في ذلك، فقد نطق بحكمه قبل أن ينطلق في جولته الجديدة، يدعو إلى تعليق الأسير على عامود الهاتف، ويكون وليمة حيّة للغربان الجائعة، وهذا ليس بغريب على أحد بحكم غريزة القتل المتأصلة في الكائن الحيواني الأقل رتبةً. لقد انتهت الأحكام الحيوانية في الجلسة الأولى، فلنشاهد في حكم الجلسة الثانية ما سيطره الراعي صاحب الوزارات كلها.

وحان دور وزير الحرب في الأمة الخيالية ليقدم اقتراحاً رابعاً،

فقال:

– بداية، السلام على رئيس المحكمة العسكرية الخيالية، وعلى باقي أعضائها الموقرين.

استبشر الإمبراطور جنكيز خان خيراً بهذه البداية الموفقة.

فقال الوزير الراعي:

– مهما قست قلوبنا فإنها لا تخلو من الرحمة، والعطف، والشفقة.

ابتسم جنكيز خان العظيم قائلاً:

– أشكرك جزيل الشكر يا نوري الشجاع.

– لا شكر على واجب.

– أكمل إذن.

فقال وزير العدل:

– سيدي، لا يوجد إنسانٌ بلا أخطاء، فلا معصومٌ بيننا نحنُ الفانين من الخطأ.

– أتفقُ معك في هذا يا وزير العدل.

فقال وزير العدل:

– لذا أجدُ أنّ الحكم المناسب له... –

ثم توقّف.

سأله الرئيس:

– وما الحكم المناسب؟

– أن نجعله لبعض الوقت رقاصاً للساعة.

ضحك أعضاء المحكمة مع الإمبراطور.

فقال الإمبراطور مبتسماً:

– رقاصٌ للساعة.

أجابه وزير العدل واثقاً بالموافقة على حكمه:

– نعم، سيدي.

وحين طلب منه رئيس المحكمة الخيالية مزيداً من التوضيح،

قال:

– سيدي الرئيس، إنني أرى أنّ هذا الحلّ أفضل من الحلول

الأخرى المقترحة التي تدعو صراحةً إلى القتل.

– رأيي مثل رأيك أيضاً.

أعطى رئيسُ المحكمة العليا الخيالية وزيرَ عدله أوامره بالتنفيذ، وكان الأسير محظوراً عليه الكلام أو الاحتجاج على أيِّ حكمٍ يصدر بحقه.

فقال وزير العدل:

— سيّدي، فليفكّوا وثاق يديه.

أمرَ الرئيسُ:

— فكّوا الوثاق حالاً.

— سيّدي، فليتقدم كرو نحو جذع شجرة التعذيب.

أمرَ القائدُ:

— تقدّم يا كرو.

— وليضعوا الأسير على ظهر كرو الفرس الإمبراطوري.

— ضعوه.

— سيّدي، فليربط مقلوباً بعُصن الشجرة.

أمرَ الرئيسُ:

— اربطوه.



فسأله الرئيس:

— ماذا بعد يا وزير؟

— فليتحركُ كرو من تحته.

أمر القائد كروفاكس:

— تحركُ يا كرو.

أجابه الوزير:

— هذه هي طريقةُ رقاص الساعة، والأسيرُ يتعذَّبُ فيها وهو متدلٌّ ومتأرجحٌ في الهواء.

فردَّ عليه الإمبراطور جنكيز خان مسروراً:

— حكمتك عادل يا وزير نوري، لأنني أطمحُ إلى رفع جميع أشكال الظلم والعدوان عن المظلومين، وليست غايتي وهدفني القتلَ وجمعَ الثروات والمال والطمع والاستغلال.

— بالطبع يا مولاي، وهذا ما نسعى ونجاهد من أجله.

لقد عاقبتِ المحكمة العليا الأسيرَ، وهي تمثل أكبر سلطة قضائية وتنفيذية وتشريعية في الأمة الخيالية، وكانت عقوبته (رقاص

الساعة)، وقد ابتكرها عقلُ الراعي نوري الشجاع، لتكون تنيهاً للأسير العمّ نايف الذي كان يُعذّب الولد الصغير جنكيز خان، ولعلّ هذه العقوبة لمدة وجيزة كانت كافية لتوقظ فيه ضميره الميت وإنسانيته الضائعة. وقد اتُّخذ قرار الحُكم بالإجماع من هيئة المحكمة الوهمية بإطلاق سراح العمّ نايف الأسير بعد العقوبة مباشرةً، والعمل على توقيع اتفاقية السلام بما يُعرف بصلح كودو، من أجل تثبيت الأمن والاستقرار، وعدم انزلاق المنطقة مرة أخرى في فوضى عارمة، لا يمكن بعدها السيطرة عليها أبداً. وعلى الإثر أُطلق سراح أسير الأمة الوهمية، وضمن سيراج منصباً في قرية كودو الحدودية، وحصل التنازل عن قطيع الغنم والراعي والحمار والكلب لابن أخيه جنكيز خان، ليكمل ما بدأ من مغامراته الخيالية وأحلامه اليقظة، فتوجّه بها إلى المستنقع، لرفع ظلم آخر واقع في مملكة الضفادع الهزيلة.

\*\*\* \*\*

## معركة الضفادع

كان الوقت ظهراً عندما توجه الزحف الجرار على مستنقع الضفادع، فكان الإمبراطور جنكيز خان العظيم في المقدمة، ممتطياً كروفاكس، وكان يسير الهوينى، تحت أشعة الشمس العامودية. أما كوجو المرافق المُخلص فقد كانت مهمته تمشيط الطريق بخطمه الطويل، تارة يشمّ الأحجار، وتارة يشمّ الأرض، ثم يرفع برأسه إلى الأعلى، وكان كوجو يعمل جوّالاً بجدّ ونشاط. وأمّا الراعي الوزير، فكان يحثُّ بخطاه ليلتحق بالإمبراطور، ممسكاً بتلك العصا السحرية التي يهشُّ بها على غنماته، وكان العرق الغزير يتصبّب على جسمه، أمّا باقي القطيع فكان يسير من خلفهم، وفي طريق تقدّمه كان يحوّل كلّ شيء أخضر إلى الأحمر، فالقافلة تمضي قُدماً والوقت أصبح عصراً، وفجأة ظهر الطائر، ثمّ سمق وعلا في الأفق البعيد، ففرمّل كوجو على المكابح الأمامية في التراب الأحمر، وتوقّف عن الحركة، وأصدر عواءً طويلاً مخاطباً جنكيز خان العظيم:

– سيدي، أشمُّ رائحةً كريهة.

– هل أنت جادّ؟

– نعم.

– إذاً هو المستنقع الذي نقصده.

لمعت العيون الحمراء، وتدلى اللسان الطويل، وارتفعت اللهثات  
المتقطعة.

فقال كوجو الجوّال:

– ها هو الماء يلمع هناك.

– أحسنت يا مرافقي المُخلص.

فصاح جنكيز خان القائد العام للجيش والقوات الغنميّة  
المسلحة:

– انهق نهقة عظيمة يا بوق الإمبراطورية.

فقال كروفاكس بفرح:

– حاضر، يا مولاي.

ثم نهق عالياً.

وبتأثير صوت الدويّ العظيم، حضر رئيس 'G.S.T' ذلك الطائر  
الذي كان يغوص في الأفق البعيد، وحطّ على كتف الإمبراطور العظيم

خائباً كئيباً، ونعق نعقةً خفيفةً حزينة، وأسدل الجفون على العيون الدائرية، فلمس الخان منقاره بلطف.

سأل الخان العظيمُ ذا العينين الواسعتين:

\_ ما الخطب؟

أجابه الطائرُ بحزن عميق:

\_ الأخبار سيئة.

\_ أخبار سيئة؟!

\_ نعم، مولاي.

\_ ما هي؟

\_ في أثناء إحدى جولاتي الطيرانية في المنطقة رأيتُ...

\_ ماذا رأيت؟

أجابه ذو العينين الواسعتين متنهّداً:

\_ غابة قزمة.

\_ أين؟

\_ قريبة من هنا.

\_ أكمل.

\_ فيها الآلاف من الشجيرات القزمة.

فقال له الإمبراطور جنكيز خان العظيم:

\_ ما وجه الغرابة فيها؟

\_ كانت تهمسُ فيما بينها، عندما حلتُ ضيفاً عليها في الليل،  
ووقفتُ للراحة والنوم كنزِيل فندقٍ رخيص، ولكنني تظاهرت عندها  
بالنوم، وأنت تعرف الباقي.

\_ وكيف لي أن أعرف الباقي يا فهميم؟

كانت الكلمات تخرج ثقيلة جداً من بين منقاري رئيس فرع  
جمع المعلومات الخارجية عن الأعداء:

\_ مولاي، كانت تقول فيما بينها...

\_ ماذا كانت تقول؟

\_ لن تُصدّق.

\_ أكمل.

\_ مولاي، تأمرت جميع شجيرات الغابة القزمة...

\_ أكمّل.

\_ أن تجعل من نفسها مصداً يعيقُ مرورنا إلى الطرف الآخر.

\_ تمنعنا من المرور؟!

\_ نعم.

عاد الطائر إلى نطقه السليم من بعد أن تخلص من عبء  
الكلمات السيئة.

وتابع معه القائد الكبير طرح الأسئلة:

\_ هل أنت متأكد مما تقول؟

\_ نعم.

\_ إذأً فلتكن على جدول أعمالنا القادمة، بعد أن ننتهي من  
معركة الضفادع... سنتوجه إليها فاتحين.

أجابه رئيس 'G.S.T' فرحاً:

\_ حسناً، مولاي.

فتعهّد له الخان قائلاً:

\_ أعاهدك بالقرن الكبشيّ الملفوف على راية الأمة الخيالية،

وأغنيتها الوطنية التي تحميها من الأعداء، أن أجعل شجيرات الغابة القزمية ذليلات صاغرات، فهي لا تعرف بعدُ إذا دخل الملوك والساطين مكاناً مؤهلاً بالشجيرات القزمية ماذا يفعلون.

سأل طائر اليوم:

– هل لي من طلب أخير أطلبه من مولاي الخان، وأرجو أن لا يخيب أمني في ذلك المطلب البسيط؟  
– تفضّل.

– شكراً سيدي ومولاي، أريد من جلالتك العظيمة أن توافق على استقالتي، لأنني أصبحت كبيراً بالعمر، وأن تعين ابني البكر مكاني، فهو أنشط مني.

رَبَّت الخان بلطفٍ ومودّة على الرأس الكبير قائلاً:

– استقالتك مقبولة، وابنك معيّن من هذه اللحظة، ولكن مرّ على الخلية لتودّع أصدقاءك، وتخرج بريء الذمة، ولن ننسى ما بذلت من مجهودٍ طيّب، فسبحان الله، هكذا نحن البشر الفانين، نحبّ من نعايشهم.

– أشكرك جزيل الشكر مولاي، وأنا ممتنٌّ جزيل الامتنان لك.



نقر البومُ المستقيلُ بمنقره المعقوف على وجه مولاه الخان العظيم، وطار فرحاً سعيداً، وغاص بعيداً في كبد السماء من دون رجعة.

صار الإمبراطور حادّ المزاج على فراق أحد أعضاء أركان إمبراطوريّته الخيالية، ولكنْ كان عزاؤه في ذلك استلامَ البوم الابن الذي عيّن لاحقاً بمرسوم إمبراطوري، وسط احتفالٍ صغير حضره لفيّف من الأعضاء والجنرالات الكباش.

فسأل الإمبراطور وزير حربه:

\_ ألم يحن وقت الاستراحة؟

\_ سمعاً وطاعةً مولاي.

\_ اضربوا بخيامكم وسرادقكم الوهمية.

\_ أمرك مولاي الخان.

والتفت إلى حارسه الشخصي كوجو قائلاً:

\_ ماذا عن استعدادات جيشنا الغنميّ العظيم، قبل الهجوم على

المستنقع؟

\_ وأنا أتجوّل بينهم، رأيتُ الجنرالات يقفون على منصّة جرف

التربة الحمراء.

– أكمل.

– ثم رأيتُ القوات الغنمية مقسّمة إلى مجموعات حسب الرتب العسكرية الوهمية والحجم.

أَحَبَّ الإمبراطور الفكرة فسأله:

– وماذا بعد؟

– كانت تمشي بحركات نظام الحوافر المتناسقة، وكانت تؤدّيها بغاية البراعة والإتقان أمام الجنرالات الكباش.

– أكمل.

– فقدّمت عرضاً عسكرياً يليق بأقوى الجيوش الخيالية.

– رائع.

– مولاي، وبعد أن انتهت من العرض العسكري، والمرور من أمام منصّة الجرف، بدأت بالتدريبات الفردية.

كان جنكيز خان العظيم منذ الصّغر يحبُّ الرياضة، وكان يرى في الرياضة القوة التي تمنح المقاتل الغنميّ القدرة على التحرك في

ساحة المعركة، والتفوق على العدو النخيم بكل سهولة، وبخاصة عند الاختلاط والالتحام المباشر.

فسأل الإمبراطور مرافقه الوفي:

– ولكنك يا كوجو، لم تُخبرني عن رياضة الصباح.

أجابه كوجو:

– مولاي الخان، في الصباح الباكر، كان هناك سباق الضاحية.

– سباق الضاحية!؟

– نعم.

– وهل كان سباق ثلاثة آلاف متر؟

– نعم، ثلاثة آلاف متر.

فقال الإمبراطور خائفاً:

– وهل دخل الجميع في الزمن الممتاز؟

أجابه كوجو:

– مولاي، باستثناء قلة منهم، كانوا كباراً في العمر، وبعضهم من

مرضى القلب، وقلائل من المدخنين.

– يعني الأغلبية حَقَّقوا الزمن الممتاز؟

– بالطبع سيدي.

فقال الإمبراطور آمراً:

– انصرف.

– سمعاً وطاعة، مولاي الخان.

انسحب بعيداً، ورفع إحدى قوائمه الخلفية، وقد استعاد جنكيز خان هدوءه النفسي، بعد الحديث الذي دار بينه وبين مرافقه، بشأن جاهزية أفراد القوات الغنمية، وما تقوم به جنرالات الحرب من تدريبات، وذلك قبل بدء الهجوم المرتقب على مستنقع الضفادع على مرمى من حجر منهم.

زها جنكيز خان العظيم واختال، والابتسامة على شفثيه، وهو يسأل وزيره نوري:

– هل شدّتم الحراسة على المعسكر؟

– خير تشديد.

– لا أرى ديبياً في المعسكر.

\_ العساكر والجنرالات، ناموا مبكرين، استعداداً للهجوم المرتقب في الصباح الباكر.

\_ سياسة حكيمة.

\_ نحن تلاميذك، مولاي الخان.

\_ أحسنت. أحسنت.

غاص المعسكر الإمبراطوري كله في سكرة النوم العميق، ولم يبقَ إلا خلية الأزمة والإمبراطور الخيالي مستيقظين، وكانوا يُعدون خطط الهجوم على مستنقع الضفادع، ذي القيادة السمينة، والشعب الجائع الهزيل، وكان هدفهم الأساسي رفع الظلم، وتحقيق العدل بأسلوب سلميّ لمملكة المستنقع.

نظر القائد جنكيز خان إلى أفراد خلية الأزمة واحداً واحداً، ثم سأل مرافقه الشخصي كوجو:

\_ هل عندك طريقة محددة للهجوم؟

\_ لديّ طريقتان للقضاء على العدو، إذا ما أعطيتني قليلاً من الوقت لشرحهما، يا سيدي، فسأكون ممتناً شاكراً لك.

\_ لك الوقت الكافي.

– الطريقة الأولى: هي طريقة شقّ القناة.

– اشرح لنا مبدأ هذه الطريقة؟

– علينا أن نشقّ قناة، ما بين مستنقع الضفادع وأقرب مستنقع

إليه.

– أكمل.

– فيتم إفراغ المياه من مستنقع الضفادع، إلى المستنقع القريب، ويصبح جافاً، فنكشف الغطاء عن العدو الضفدعي الذي يتحصّن بالمياه الآسنة، فيتمّ سحقها تحت حوافر أقدام جيشنا الغنميّ المسلّح.

– وبرأيك، هل يمكن تحقيق هذا الأمر بسهولة، يا كوجو؟

– نعم، مولاي.

– أنت واهم.

سأله كوجو الوفيّ:

– لِمَ يا سيدي؟

– يجب أولاً حساب الضغط والكثافة وفق قانون الأواني

المستطرفة.

\_ وما الذي يمنعنا من حسابه؟

\_ يلزمنا مهندس متخصص.

وأكملَ الإمبراطور قائلاً:

\_ يا كوجو المُخلص، دعني أوضّح لك الأمر. لا يتوفر في الأمة الخيالية هذه الخبرات، فنحن في أجواء القرية، وبعيدين عن المدينة.

\_ مفهوم، سيدي.

خيّم الصمتُ قليلاً، ثم سأل جنكيزُ خان كوجو:

\_ وما الطريقة الثانية؟

\_ عصا الراعي نوري.

\_ أكمل.

\_ ضربة واحدة من تلك العصا ذات الرأس المدبّب، كافية أن

تصرع ضفدعاً.

فسأله الإمبراطور:

\_ وهل تعتقد أنها كافية؟

– بالطبع، مولاي.

– يا فهمان، وكم يوماً يلزمنا لقتل آلاف الضفادع الموجودة أمامنا  
الآن بالعصا ذات الرأس المدبب؟

أجابه كوجو الذي لم يحالفه الحظ:

– ربّما سنوات.

– إذأ، فهي طريقة غير ناجحة وفعّالة، في القضاء على العدو  
بسرعة.

– أمرك، مولاي.

انتهى دور كوجو المرافق الإمبراطوري الخيالي، فلم تصلح أيّ  
من خطّتيه في الهجوم الوشيك على العدو القريب.

جاء دور وزير الحرب، فقال:

– لديّ خُطّة للهجوم، يا مولاي.

– ما الخُطّة؟

وقبل أن يكمل دخل كروفاكس وقاطعهما، قائلاً:

– رسول الضفادع، مولاي الخان العظيم.



فقال الإمبراطور:

\_ ماذا يريد؟

\_ يطلب منا -مولاي- لقاءً أو مناظرة بينك وبين القائد ذي الحجم البدين.

\_ لا أريد مقابلته إلا بعد النصر الأكيد، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

ثم دعا القائد جنكيز خان وزيره للبدء بعرض ما عنده.

\_ مولاي، من بعد إذن فخامة جلالتك.

\_ تفضل.

\_ أرى أن نستخدم المجال الجوي.

\_ المجال الجوي؟!!

\_ نعم، سيدي.

\_ كيف؟

\_ أليس لدينا ابن اليوم؟

\_ رئيس 'G.S.T'؟!!

\_ نعم، فعليه أن يحمل حجارة، ويقذف بها أعداءنا.

\_ أكمل.

أجاب الوزير واثقاً:

\_ أنت تعرف الباقي مولاي، فكل معارك الجيوش الحديثة يمهد لها الطيران من الجوّ.

فقال جنكيز خان متنهّداً:

\_ لكن لدينا مشكلة.

\_ ما هي؟

\_ إذا افترضنا جدلاً، أننا نملك قاذفة واحدة، وهو ابن البوم، ففي هذه الحالة يلزمنا عدة قواذف بومية، لحمل الطلقات الحجرية الصغيرة، وإلقائها على العدو من الجوّ، وأين لنا من هذا العدد الوفير؟

\_ أعذرني يا مولاي، كلامك منطقي ومعقول، فأنا أخطأت في الحساب والتقدير، وأرجو من فخامة عظمتك أن تغفر لي، وألاً تؤاخذني على ما بدر مني من سوء تقدير.

فقال جنكيز خان مُبتسماً:

\_ لا عليك، نحنُ نناقشُ خطط الهجوم، ولن نعتد إلاً على  
خُطة فعّالة لتحقيق النصر الأكيد على العدو.

\_ سمعاً وطاعة، مولاي الخان العظيم.

سأله جنكيز خان:

\_ ألدك اقتراح آخر؟

\_ لا.

\_ استرح الآن.

ثم جاء دور كروفاكس الفرس الأصيل، العضو في خلية الأزمة  
للأمة الوهمية. فقال:

\_ صحيحٌ أنني غبي...

\_ أكمل.

\_ لكنّ الغباء يفيد أحياناً، في بعض مواقف الحياة الصعبة.

ردّ عليه الإمبراطور:

\_ أكمل.

\_ لديّ طريقة مضمونة، حيثُ تستسلم فيها مملكة الضفادع مع

قادتِها السَّمان، وبأقل من دقيقة واحدة.

هدّد الإمبراطور وتوعّد:

– إذا رأيتُ أنّ اقتراحك غير ناجح وفعال، فسُتُعاقب عِقاباً عسيراً  
يا كرو.

– موافق، مولاي.

– أكمل ما بدأت به.

أجابه كروفاكس مُطمئناً لنجاح خُطّته:

– ألم تقرأ تقرير رئيس الاستخبارات السابق؟

– بلى.

– مولاي، بين سطور التقرير الناعم كانت توجد ملاحظة مهمّة.

قال له الإمبراطور بصبر نافذ:

– أجب بسرعة، ما هي؟

– بشأن ما ذكره عن الماء.

– أعرف أنّ الماء الأسود يُغذّي، ويُسمن.

– سيدي أنت تعرف فقط، إنه يُسمن قادة الضفادع الذين

يأخذون جرعات كبيرة وكثيرة، ولكنهم يمنحون قطرات منه للضفادع التابعة لهم.

\_ حسناً، أكمل.

\_ بعد دراسة مُعمقة، وتجميع المعلومات من كتبٍ قيمة وقديمة...

\_ أكملْ أكملْ.

\_ لقد تبين لي في النهاية.

\_ ماذا تبين؟

\_ أنه يملك في قوامه نوعاً من لزوجة الزيت، وهو سريع الاشتعال.

ضحك الإمبراطور جنكيز خان العظيم مع حاشيته وقال:

\_ حقاً، خُذوا الحكمة من أفواه الأغبياء.

تخيّل القائد، في تلك الليلة، أن الانتصار على عدوه بات قاب قوسين أو أدنى، واليوم سينامون هانئي البال، لأن الخطة المقترحة من كروفاكس ستقضي على العدو بلا محالة، وغداً في الصباح الباكر سيتوضح كلُّ شيء، وتُحسم المعركة بعود ثقب خشبيّ صغير واحد،

عندما يأمر الخان بالهجوم على العدو الظالم، لصالح قوات الأمة الوهميّة، فهي طريقة أخيرة للضغط على القيادة الضفدعية السمينة، وللبداء بالمفاوضات بين الطرفين المتخاصمين.

وكان الصباح الباكر على الأبواب.

صاح الإمبراطور في رعيته بصوت قوي كالرعد:

– استعدّوا واهجموا على العدو.

ثم تابع الإمبراطور قائلاً:

– دافعوا عن العرش العظيم، وحقّقوا طموحات أجيال المستقبل.

وما هي إلا لحظات وخطوات قليلة، حتّى كانوا على حافة الجرف العالي من المستنقع، يحاصرونها من كل الجهات.

كان جنكيز خان يقف في المكان المرتفع من المستنقع، وقد أحاط به الراعي، والحمار، والكلب، وكان قطع الأغنام والكباش منتشراً من حوله، يرعى في الشريط الأخضر الذي يحيط بالمستنقع، ثم رأى من الأعلى رأس ضفدع كبير يخرج من المياه الآسنة، وكان ذا جثّة ضخمة، ويلفه لفيف يُماثله في الحجم، وكان يحيط بهم عدد هائل على شكل دوائر لا تُعدّ ولا تحصى يقدر بالآلاف من الضفادع

الأخرى، ولكنها كانت تبدو شاحبة مريضة هزيلة، لا يكاد يسترها إلا جلدٌ على عظم، وكان منظرها آنذاك يُشبه منظر السماء في الليل، تُنيرها آلافٌ وآلافٌ من النجوم البراقة.

نظر جنكيز خان العظيم قائد القوات المسلحة الغنمية الشُّجاعة نحو قائد الضفداع السمين وصاح عالياً:

– أتريد الحرب أم الاستسلام يا ملك الضفداع؟

أجابه الملك الضفدعيّ السمين بنقيق غليظ:

– الحرب، ولا الاستسلام.

فقال إمبراطور الوهم والخيال:

– إذاً هي الحرب.

أجابه:

– نعم الحرب.

– هل أنت واثق من النصر، يا ملك الضفداع الهزيلة؟

ارتفع نقيق آلاف الضفداع استنكاراً واستهجاناً لقول قائد القوات المسلحة الغنمية الذي مسّ كبرياء سيادة المملكة الضفدعية في

الصميم.

أجابه زعيم مملكة الضفادع النحيلة مزهواً، وصدّره منتفخ  
بالهواء:

\_ هذه قلعتنا، ونحن مُحصّنون، وهذا المستنقع يتحدّى أقوى  
الجيوش في العالم.

فقال له القائد الجبار:

\_ أرى أنك ستغيّر رأيك بعد قليل.

\_ لن أُغيّر رأيي، ولن أسلمّ مملكة الضفادع إلى عدوّها بسهولة،  
وبغير مقاومة، إما الحياة أو الموت.

استصغره القائد بقوله:

\_ أيها الضفدوع!!

\_ لا تنادني بهذا، أيها القائد المتغطرس.

أكّد القائد:

\_ اسمعني جيداً، ودعنا نبتعد عن الترهات، ونبدأ بالجدّ.

\_ أسمعك جيداً.



فقال القائد:

\_ لنا مطالب.

\_ ما مطالبكم؟

\_ إنني أدافع عن المظلومين، ورفع الاضطهاد عن كواهلهم.

\_ هل أنت أبو الفقراء؟ وعن أي ظلم تتحدث؟

\_ ارم الثياب المزيفة التي ترتديها، فكلُّ شيء واضح وضوح الشمس.

أجابه ملك الضفادع:

\_ بصفتك ماذا؟

\_ بصفتي مُمثلاً ومدافعاً عن السلم العالمي، وأمور كثيرة لا يمكنني التطرُّق إليها الآن؛ لأننا في ضيقٍ من أمرنا، وحتى يحين الوقت ستعرف الكثير عن أهداف حملتنا هذه.

وأكمل القائد حديثه قائلاً:

\_ أطلب منك بصفتي راعياً لمصالح المملكة الضفدعية الهزيلة

أن توزع...

توقّف عن الحديث برهتاً.

فسأله الملك السمين:

– ماذا أوزّع؟

– الماء الأسود.

– ما الذي يضيرك؟

أكّد القائد هويته لملك الضفادع:

– أنا الإمبراطور جنكيز خان، صاحب أكبر أمة سلمية خيالية

توسّعية في العالم.

– وإن لم أوزّع الماء المُغذّي بالتساوي بين أفراد الضفادع ماذا

ستفعل؟

– ستكون بيننا الحرب.

سأله زعيم المملكة:

– وإذا استسلمنا؟

أجابه القائد الكبير:

– سنرحل من هنا من دون المساس بأمن مملكة الضفادع

الآمنة.

مرّةً أخرى، ارتفع نقيق آلاف الضفادع الغاضبة، شجياً  
واستنكاراً، على أقوال القائد جنكيز خان الكبير، فأعلن زعيم الأغنام:

– الحرب، الحرب، الحرب.

أجاب ملك الضفادع:

– دقوا طبول الحرب.

صاح جنكيز خان:

– اسمعني، أيها القذر الجشع التافه المستغلّ.

وأكمل جنكيز خان مُعلنًا:

– هاتوا عود الثُّقَاب الخشبيّ الصغير.

انتهت الضفادع جميعها مع ملكها الظالم.

فقال الملك مذعورًا:

– عودِ ثِقَاب.

– نعم، سأحرق المستنقع.

فسأله ملك الضفادع السمين الجشع:

\_ هل، أنت جادٌ؟

\_ سأجعل من المستنقع بحراً مسجوراً ، ستسبحون في لهيها الأحمر.

\_ الرحمة، أيها القائد العظيم.

\_ سأجعل أجسادكم لحوماً مشوية يستلذُّ برائحتها البشر الفانون.

ارتفع نقيقٌ متواصل من الشعب الضفدعي في الأجواء، مرددين جميعاً وبصيحات عالية:

\_ استسلام... استسلام.

وقال زعيمهم المستسلم:

\_ بإذن مولاي الفاتح السلمي، هل لي من إلقاء كلمة مقتضية

بهذه المناسبة العظيمة في تاريخ مملكتنا الضفدعية الهزيلة؟

فقال القائد جنكيز خان المنتصر:

\_ لك الكلام أيها السمين.

\_ أشكرك باسمي وباسم أفراد شعب المستنقعات الضفدعية

الشاحيين، لما تنوون تحقيقه لرُبوع مملكتنا من قيم نبيلة تتمثل بالعدل

والمساواة، والأمن والاستقرار، وإحلال السلام بدلاً من الحرب  
والدمار.

ثم دوى نقيق حادّ مع تُغاءٍ مرتفعٍ تهليلاً لاتفاقية السلام الموقّعة  
بين الطرفين، وبحضور الشعب والقادة.

وبهذا الشكل الجميل، استسلمت مملكة المستنقعات وأذعنت  
بدون قيدٍ أو شرطٍ إلى الأمة الخيالية، وتعهدت أن تطبق العدل، [مع  
أنه لا يوجد في الدنيا شيء اسمه العدل والمساواة] وتلتها مباشرة  
احتفالات النصر.

\*\*\* \*\*

## احتفالات النصر

كان جنكيز خان قد نشأ منعزلاً، بسبب الحصار الذي فرضه عليه عمّه نايف، فعاش حياته منطوياً بعيداً عن أقرانه الذكور والإناث، وترعرع بين قطيع الأغنام، وكان يتأمل بعيونه الحاملة، فتعلو في خياله أطياف عذابات القرية، ولولا المعلم الراعي الذي علّم جنكيز خان قصص التاريخ وحكاياته، لَمَا تعلّم شيئاً، ولَمَا صنع أحلام اليقظة ومغامراته الخيالية. وتتمثل له تلك النعاج ذوات الصوف الكثيف، والعيون الوسيعة، في صور فتيات جميلات، وكان يسمّي كلّ نعجة باسم فتاة من فتيات القرية، وعندما يرمى تلك النعاج على أطراف القرية، كان يتغزل بها، ويضطجع معها، ومن ثمّ يتبادل معها الكلمات الحلوة عن الحبّ، كأنها فتيات الواقع، لقد كان جنكيز خان في أغلب الأحيان يؤنّب نفسه على هذا الخيال الجامح الذي يتجاوز كل الحدود، فأغلب المرات كان يعاقب نفسه، بمساعدة الراعي نوري؛ إذ يربطه بساق شجرة التعذيب، ويجلده بالسوط، ويمنع عنه الطعام والشراب عدة ساعات، ليتخلّى عن الخيال والأوهام، فيتمتم بينه وبين نفسه:

– إنني غير واقعي، ولا يمكنني مواجهة الواقع، لذلك ألجأ إلى

الخيال.

ثم بدؤوا احتفالاتِ النصر في الخلاء الواسع، بترديد شعار  
الإمبراطورية الخيالية؛ إذ نادى القائد جنكيز خان وقتَ الأصيل:

– حلمٌ ووهمٌ، فكرٌ وخيال.

فردّد المجلس العسكري:

– دوامٌ للعمرِ وراحةٌ للبال.

فقال الإمبراطور جنكيز خان العظيم:

– أيّها الراعي الوزير، افتتح الاحتفال بالعزف على الناي.

– سمعاً وطاعة، مولاي الخان.

بدأت الحفلة الموسيقية، ورقصت النعاج على أنغام ناي الراعي  
الوزير، وتخيّل جنكيز خان أنه يراقصها، ثم أشار إلى كوجو  
المتحمس، أن يقترب منه، وهمس في أذنه الطويلة:

– نايٌّ ساحر يأسر القلوب.

أجابه كوجو:

– نعم، مولاي.

– يا كوجو الوفي، أحلفك برأس جدك الكلب الأول، هل تحب  
الأغاني الموسيقية؟

أجابه كوجو الحائر:

– نعم.

فسأله جنكيز خان:

– أي نوع من الأغاني تُفضل؟

أجابه كوجو خائفاً:

– ألا تزعل مني يا سيدي، إذا قلت الحقيقة؟

– قلْ ولك الأمان.

أجابه كوجو بارتياح:

– أغنية العواء الذئبي المتواصل، وأحياناً النباح الكلبى المتقطع.

ضحك جنكيز خان، وقال:

– ذوقٌ أصيل.

– شكراً شكراً، مولاي.

فجأةً غيّر الراعي نغمة الناي إلى لحنٍ راقصٍ آخر، ثم تابع القائد



العام للجيش والقوات المسلّحة الغنمية حديثه مع مُرافقه الشخصي كوجو، قائلاً:

\_ أنظر إلى تلك النعجة البيضاء.

سأل كوجو حائراً:

\_ أيّ نعجة يا مولاي؟ إنها كثيرة.

أشار القائد بذراعه اليمين إلى اليسار:

\_ تلك، ذات البقع السوداء حول عينيها.

أجابه كوجو:

\_ تلك نعجة كيوسية.

\_ عظيم.

فقال جنكيز خان:

\_ تشبه حبيبتني نجلاء الجميلة.

سأل كوجو بمكر:

\_ مولاي، أهي ابنة مختار القرية؟

\_ أحسنت، يا كوجو المُخلص.

ثم انتقل خيال القائد جنكيز خان الواسع الخصب إلى حلبة الصراع، حيث يجتمع فيها عدد كبير من أفراد الجيش الغنمي المسلح حول عددٍ من الجنرالات الكباش ذوي القرون الطويلة الملتفة، وكانت تجري المراهنات بينهم في حلبة المصارعة، وكانت الجائزة الفوز بلقب قيادة الأركان العامة في الجيش الإمبراطوري الوهمي، وكانت المنازلات حامية الوطيس بين المتنافسين، فما أن بدأت المناطقة القوية بين كبشين من الجنرالات، حتى راح يتطاير رأس قرنٍ في الهواء، فينسحب الخاسر ذليلاً، ويترك أرض الحلبة لغيره من المتنافسين على المركز، فيتابع الفائز نزالاته ويبقى ليُلقى غيره، وكلما فاز جنرالٌ كبشٌ على الآخر ارتفعت الهتافات عاليةً من جميع حناجر أفراد الجيش، قائلة ماع...ماع...ماع... ، وكانت بعض المنازلات تبدأ باشتباك القرون الغليظة الضخمة، فيهيج المشاهدون وتعلو أصوات التشجيع، حيث يسحب الكبش خصمه إلى أقصى طرف الحلبة، مثل لعبة جرّ الحبل، ثم يبدأ الآخر بالسحب والمقاومة لجره إلى الطرف الآخر، وأخيراً تنتهي المُنازلة بفوز الكبش الأقوى لياقة بدنية وقوةً وعزيمةً، فيخرج الخاسر كالعادة، وعندها يخرج ثغاءً من الحلوq الحيوانية منادياً:

– 0000.0000.0000 –

وكانت أشد المنازلات بين الكباش، عندما يرجع كلُّ واحدٍ منها إلى الوراء، ويركل الأرض الحمراء بحوافره الأمامية، ثم يهجم على خصمه بسرعة البرق، فيدوي صوت النطاح عالياً في الفضاء، عندها يرفع الإمبراطور رأسه خوفاً ورعباً.

وكان الغناء في تلك اللحظات على أشده.

ثم عاد القائد جنكيز خان يسأل مرافقه الشخصي كوجو:

— مَنْ تلك النعجة ذات اللون البني، والسيقان البنية؟

أجابه كوجو متسائلاً:

— التي ترقص مع الجنرال الكبشي هولوكو؟

— بالضبط.

— وتضع أقراناً طويلة في أذنها؟

— نعم.

أجابه كوجو الخبير بالإناث:

— نعجةٌ عواسية، من أصل شامي يا مولاي.

فقال جنكيز خان الواهم:

– تُشبهه حبيبتى داليا.

– ابنة...

– هي بنفسها.

سأل كوجو مُتشككاً:

– ولكن مولاي، عيون داليا صغيرة.

فقال له الملك العظيم وهو يرمقه بنظرة إعجاب، ويشير نحوه

برأس سبابته:

– أحسنت يا كوجو الخبير، ملاحظتك دقيقة.

– عيون العواسية، وسيعات جميلات.

ردّ عليه جنكيز خان:

– أنت عاشق!!

أجابه كوجو متنهّداً:

– سيدي أنت تعرف ظروف الحرب.

– ستنتهي الحرب قريباً، وستنتهي خدمتك الإلزامية مع انتهاء

مهمّتنا، وستودع حياة الجيش التي تبقى ذكرى تومض أحياناً في

عقولنا، ثم تبدأ حياة المدنية من جديد.

\_ معقول، يا مولاي الخان؟

ردّ عليه جنكيز خان:

\_ بالطبع يا كوجو الوفيّ، وستزوج بإذن إله السماء، وستنجب  
جِراءً كثيرة تخلفك من بعدك، ثم تصبح جدّاً، وينتشر نسلك الكلبى  
مثل النسل البشرى الذي لا ينقطع من الدنيا.

\_ مولاي، أنا ممتنٌّ كثيراً للطفك، فأنت عطوفٌ مع مَنْ هم أدنى  
منك مرتبة في الحياة، ولا أعرفُ كيف أُعبّرُ لك عن مدى سعادتي  
وفرحي بهذه الكلمات.

فقال جنكيز خان:

\_ تسريحُك وعدُّ منّي أنا الإمبراطور جنكيز خان العظيم، قائد  
أكبر مملكة خيالية في العالم.

سأله كوجو مُتابعاً:

\_ هل تأذن لي بأن أتابع حديثي مولاي؟

\_ تفضّل.

– سيدي، ستبقى قصة حياتك ملحمة خالدة عبر التاريخ، ما دامت الكرة الأرضية تدور في محورها الصحيح.

فقال له جنكيز خان:

– يا كوجو الوفي، أنت تملك مشاعر نبيلة، وأنت من دم نبيل، وبمشيئة إله السماء سيتحقق حلمك الكلي؛ لأنني كما تعلم شاب في مقتبل العمر، يسعى جاهداً وراء نشر السلام في العالم أجمعه، فتكفيني وجبة واحدة، وأقل من لتر من الماء، وسقف واحد فقط يقيني برد الشتاء، وحر الصيف، فلماذا أذخر المليارات، ونهايتي الموت؟ فربما أموت غداً أو بعده. لا يمكنني أن أبيت مليء البطن وجاراتي غرثي يبتن خمائصاً، ليس في مكنتي أن أعيش سعيداً وأرى أغلب الناس تعساء، فالسعادة الحقيقية حين تكون ومن حولك سعداء.

فقال كوجو أيضاً:

– رأيت في حلمي إمبراطور المغول جنكيز خان الذي غزا العالم، وقتل الملايين من البشر، وشرّد الملايين أيضاً، كان يقول إنه سيأتي إمبراطور من بعدي اسمه جنكيز خان، سيبنى أكبر أمة خيالية توسعية، وسيحقق فيها العدل والأمان والسلام، وسيقضي على الظلم والعدوان الواقعين في العالم.

أجاب جنكيز خان باعتزاز:

– أبشر، يا كوجو المُخلص، ها هو ذا حُلْمك يتحقّق شيئاً فشيئاً، وها أنا جنكيز خان ملك أحلام اليقظة، أحقّق تلك الرؤية العظيمة.

– بالتوفيق، والنصر، والنجاح الدائم في مهمّتك، مولاي الخان العظيم.

– بوركتَ يا كوجو المُخلص، وأتمنى لك أن تنعم بحياة زوجية سعيدة، وتُرزق بجِراء صالحين.  
انتهى الحوار التاريخي.

حيثما تنظر من حولك تجد احتفالات البهجة والسرور، تصعد وترتفع نحو الأعلى، كما يرتفع بخار المياه الدافئة نحو الأعلى، زمرٌ ورقص.. مناطحات القرون الغليظة الملتفة في حلبات الصراع والمنافسة.. هتافاتٌ تعلو وتعلو.. وحديثٌ طويل بين القائد ومرافقه، والوقت يسير نحو الشفق، منظرٌ برتقالي جميل تغوصُ فيه الشمس رويداً رويداً، وسط سوادٍ زاحف، تزداد فيه الاحتفالات هياجاً وصخباً وضوضاء، الكلُّ فرحون، الكلُّ ثملون بنشوة النصر السلمي، لا ضحايا من الطرفين، لا دماء، ولا شهداء، ولا جرحى، كلُّ هذا بفضل حنكة

القائد العظيم وشجاعته، فهو يدير بنجاح أكبر أمة خيالية وهمية، وها هم يستعدون لخوض المعركة الثانية على التوالي، ولم تتبق سوى ساعات قليلة ليتوجّه هذا الجيش الجرّار الذي لا يُقهر نحو الغابة القزّمة التي تأمرت على الإمبراطور العظيم.

صار الشفق غسقاً، وكان الإمبراطور جالساً في خيمته الشّعرية عندما دخل عليه الرئيس البومي الشاب رئيس 'G.S.T'، عائداً من جولته الطيرانية البعيدة، حاملاً في جعبته أخباراً ومعلوماتٍ جديدةً، دخل الطائر مُطرق الرأس، شاحب الوجه، كئيب العينين، فقال له الخان العظيم:

\_ هاتِ ما لديك؟

أجابه الرئيس الجديد:

\_ كارثة.

\_ لقد تعودنا على الكوارث.

\_ رأيتُ على نشاطى النهر مئات من الأسماك النافقة.

سأله الخان بتوجّس:

\_ أين؟



– بعد الغابة القزّمة.

– متى؟

– الآن.

– من؟

– ربما صيادون.

– يا إله السماء، نكّسوا راية الأمة الخيالية، على أرواحها الطاهرة.

ما أن انتهت جلسة المُساءلة مع رئيس فرع المعلومات الوهمية، حتى انقطع ديبب الحركة في المعسكر، وكأنه اختفى وسط إعصارٍ هائل، فلم يبقَ في الخيمة إلا خليّة الأزمة، وسيطر الحزنُ والأسى على الجميع، ولاح الفجرُ فجأةً، وبزغت منه أولى خيوط الشمس مُعلنة الاستعداد لبدء الزحفِ الجديد، نحو الغابة القزّمة، وسط غياب البهجة والسُرور على جميع وجوه أفراد الأمة الإمبراطورية الخيالية.

\*\*\* \*\*

## معركة الغابة القزّمة

كان أفراد الجيش الغنميّ وجنرالاته الكباش الكبار ينتشرون على امتداد جبهة الغابة القزّمة، وكانوا يفصلهم عن العدوّ مسافة رمية حجر. وفي هذه الآونة كانت خلية الأزمة بكامل أعضائها مجتمعة مع القائد العام للجيش والقوات المسلحة الغنمية، للتوصّل إلى خطّة مضمونة لنجاح المعركة، وتمحورت أغلب الآراء حول طريقتين اثنتين للهجوم؛ الأولى قطعُ الأشجار بالمنشار وهي تحتاج إلى وقت وتتطلبُ جهداً، والطريقة الثانية هي طريقة الحرق الكامل للغابة، وهي الأسهل للمرور والوصول بسرعة إلى شاطئ نهر الأسماك، للقيام بتشييع الأسماك النافقة.

كان الجو لطيفاً صباح ذلك اليوم، حيثُ لاح في الأفق هدوءٌ تامّ، على صعيد أحوال الأمة الخياليّة، أمّا على صعيد الغابة، فكانت الروح المعنوية لدى شجيرات الغابة عالية جداً.

ما عدا كروفاكس الفرس الإمبراطوري الأصيل، فقد كان في ذلك الصباح حادّ المزاج، شاحب الوجه، يشتبكُ مع ظلّه، ويرفُسُ العشب من حوله، ويلوحُ بذيله شمالاً ويميناً. واقترب من قائده، وقال له:

– مولاي، أريدُ إجازةً.

انفجرت شفتنا القائدِ المتهيبِ مُطلقةً ابتسامةً خفيفةً، وتلاها  
سؤالٌ منَ القائدِ:

– هل اشتقت إلى عمي نايف؟

– لا، يا سيدي.

– أحلفُك برأس الغوالي، أن تُحدِّثني بصراحة، يا كروفاكس.

– لقد اشتقتُ إلى خطيبتي.

التفتت خلية الأزمة بكامل أعضائها نحو كروفاكس، ونظرت إليه  
مذهولة متسائلة بصوت واحد:

– ماذا؟

أجاب كروفاكس بحزن:

– نعم، قبل أن ألتحق بقوات الأمة الخيالية السلمية، خطبتُ.

فقال القائد الحالم:

– نحنُ بعيدون جداً عن مسقط رأسنا.

– أكيد.

قاطعهما وزير الحرب الوحيد:

\_ لقد وقعنا في خطأ فادح مولاي.

\_ ما هو؟

لكل حصانٍ كبوة، كانت هفوتهم عدم التفكير في هذا الأمر  
بتاتاً.

وتحدّث الوزير:

\_ سرادقات الترفيه عن النفس.

أيّده القائد:

\_ ممتاز يا وزير.

وأفاض وزير السياحة في حديثه:

\_ مولاي الخان، أنت تعرف جيّداً أن أجواء الحرب تُحطّم من  
نفسيات الجنود، وكان لزاماً علينا أن نأخذ احتياطاتنا، قبل انطلاقنا  
والخروج من القرية، فإن الترفيه عن الجنود المحرومين والمكبوتين،  
يرفع المعنويات، ويشحذ الهمم. ولديّ حلّ عاجلٍ يحلّ نصف  
المشكلة.

سأله الإمبراطور العظيم:

\_ ما الحلّ؟

أجابه وزير السياحة متباهياً:

\_ بسيط.

\_ اعرضه علينا.

\_ استعمال الرسائل.

\_ كيف؟

\_ كلُّ من يشتاق إلى أهله، يحرر لهم رسالة، ونوصلها لهم،  
وبهذا نعالج جزءاً من المشكلة.

\_ ومن يقوم بهذه المهمّة.

\_ رئيس 'G.S.T'.

\_ البريد الطائر.

\_ نعم، مولاي.

\_ فكرة عظيمة، ومفيدة للغاية، شكراً لك أيها الوزير.

\_ لا شكراً على الواجب والطاعة.

مضت بضع ساعات، وصار الوقت ظهراً، وأصبحت الشمس عامودية، وكان كل شيء يلمع في الأجواء، وقام القائد جنكيز خان الحالم، ووضع يديه فوق عينيه نصف المُغمضتين، ونظر إلى جيشه الغنمي وجنرالاته الكباش، فرأى الصوف الكثيف يغطي أجسادها، وهي مقبلة على معركة وشيكة.

التفت القائد إلى وزير حربه وسأله:

– إنني لا أرى غيرَ كتل الصوف تُغطي الأجساد، وأخاف أن تعيق حركة الجنود في أثناء الهجوم.

أجابه وزير الحرب:

– أول مرة قُمتنا بالحلاقة، كان عند التحاقهم بالجنديّة.

فسأله القائد غاضباً:

– لماذا هذا التأخير في الحلاقة؟

– مولاي، أنت تعلم أننا مُنشغلون في حروبٍ متواصلة.

– هل ستطول مدة الحلاقة؟

أجابه الراعي الوزير:

– ثلاثة أيام تقريباً.

– ثلاثة أيام؟!

– نعم.

أمر الإمبراطور جنكيز خان:

– لتتوجّل إذاً إلى ما بعد المعركة.

– أمرٌ مولاي الخان.

– شكراً، شكراً يا وزير.

انحنى الوزير وجلس في مكانه.

وتحدّث إليهم جنكيز خان:

«ذات يوم في الأصيل عندما كنتُ صغيراً، وأنا مع عمّي نايف، كنا نمشي بحذاء القرية، فرأيتُ ثعلباً بُنيّ اللون، يحاول افتراس دجاجة مسكينة كانت تلتقطُ الحَبّ من الأديم، فانقضّ الثعلبُ الماكر عليها بلمح البصر يريد أن يخنقها، فعلتُ صرخات الدجاجة العالقة بين فكّي الثعلب الحادين، فهرع عمّي نايف مندفعاً كالمجنون نحوه، وأنا أتبعه كظله الظليل، وهجم عليه، ففرّ الثعلبُ مذعوراً، وترك الدجاجة مُخضّبةً بدمائها الطازجة، تختلجُ ما بين الحياة والموت، فسارع عمي

إلى قطع رأس الدجاجة المُختلجة على الطريقة الإسلامية، وناولني إياها وأمرني بالذهاب فوراً إلى عمتي نايفة.

تلقّفتُ منه الدجاجة المذبوحة وانطلقتُ مسرعاً، وكانت لديّ عادة سيّئة، هي أنّي كلما رأيتُ حيواناً أقدفه بحجر، فيولي منّي الحيوانُ هارباً مذعوراً، فحينما صرْتُ وسط القرية حاملاً الدجاجة المذبوحة بيدي، شاهدتُ كلباً يجلسُ تحت ظلّ شجرة، وهو يلهثُ متدلّي اللسان، فانحنيتُ على الأرض، والتقطتُ حجراً صغيراً، وصحت بصوت خفيض: (واحد، اثنان، ثلاث، هوباً)، ورميته فجاءت الضربةُ على جانب الكلب المسكين قريباً من بطنه، فتأوّه متألماً، وأصدر نباحاً ممزوجاً بصرخات ألمٍ قطعت نياط قلبي، وجعلتني أندم على فعلتي الشنيعة تلك، وأتمنّى لو أنني ما رأيت هذا المشهد المؤلم المؤثّر، فقد كان الكلب أمّاً في حالة ولادة، ولحظة اصطدام الحجر بها نهضت بسرعة، فتساقط جراًؤها الصغار الواحد تلو الآخر يتدحرجون على الأرض. فأقسمتُ من يومها ألا أرفع حجراً في وجه أيّ حيوان، مهما كانت الظروف والأسباب، ومنذ ذلك اليوم العصيب أشفقتُ على الحيوانات، وأحبيتها من كل قلبي، كما أحبُّ أقراني من البشر».



وأول من عقّب على هذه الحادثة كان كوجو؛ إذ قال:

– مولاي، أنت كبير وستبقى كبيراً إلى الأبد.

أجابه الإمبراطور:

– أشكرك جزيل الشكر، يا ذا القلب السموح.

سأل الشابُّ ذو العينين الواسعتين:

– مولاي، متى تكون ساعة الصفر؟

أجابه القائد العظيم:

– عندَ الأصيل.

فسأل جنكيّزُ خان الواهمُ كروفاكسَ الأصيل:

– ألم ينته عساكرنا الأغنام من الطعام؟

– لم ينتهوا بعد.

فسأله القائد:

– هل يأكلون في مطعم الخلاء الواسع؟

– نعم.

\_ كيف كانت الخدمة هناك؟

أجابه كروفاكس بثقة:

\_ على أكمل وجه، حيث طاقم السُّخرة لا يتقاعس عن واجباته.

سأل القائدُ الخيالي:

\_ أهنك شكاوى بشأن رداءة الطعام؟

\_ لا.

\_ كم وجبة تقدّمون لهم في اليوم؟

\_ ثلاث وجبات، سيّدي.

تابع جنكيز خان سلسلة من الأسئلة التي تتعلق بمطاعم الأُمَّة

الخيالية المتنقّلة:

\_ ما نوع الوجبات التي تقدّمونها للعساكر؟

أجابه كروفاكس بحماسة:

\_ وجبة الصباح تتكوّن من تبن العدس الأسود، ووجبة الظهر

تتضمّن البرسيم مع الخبز المطحون، وعلى العشاء نقدّم الشعير الغني

بخميرة البيرا، لكي تكون خفيفة على المعدة، وتُقدّم كل تلك

الوجبات على أنغام موسيقية رائعة جداً.

\_ وماذا عن طعام الجنرالات الكباش؟

أجابه كروفاكس:

\_ يأكلون من الطعام نفسه.

\_ إذن لا تفرقة بين الرئيس والمرؤوس!!

أجاب كروفاكس الأصيل بمدح وثناء:

\_ هذا بفضل قيادتكم الحكيمة والشجاعة، يا مولاي الخان.

\_ وتقدمون الدوسير، والحلويات الملحجية؟

\_ أجل.

\_ باركك إله السماء الواحد، والقائد الأوحده على الأرض يا كرو

الشهم.

\_ شكراً، شكراً، سيدي.

بدأت شمس الأصيل تنشر في الأفق أشعتها الحمراء معلنة

التهيؤ لبدء معركة الغابة القزمية. فامتطى الإمبراطور جنكيز خان جواده

الأصيل كروفاكس، وكان على كتفه الطائر البومي الشاب ذو العينين

الواسعتين، وعلى يمينه الراعي الوزير الوحيد في الأمة الوهمية، وفي الأمام الحارس الشخصي الخاص كوجو الكلب الجوّال الذي يتشمّم التربة والأحجار كالعادة، ومن خلفهم انتشرت سرايا الجيش الغنميّ، وجنرالاته الكبار، ذوو القرون الملتفة.

وكانت أشجار الغابة القزّمة مُترابّة متكاثفة، كسور الصين العظيم.

ومن أهمّ قواعد الأُمّة الوهمية العسكريّة، قبل البدء بأيّ معركة، السعيّ إلى الحلّ السلمي بين الطرفين، فإذا استحال كانت الحرب بينهما. لذا تريث القائد جنكيز خان راجياً قدوم سفير من مملكة الأشجار القزّمة، وكلّه أمل أن يدفع به إلى التفاوض السلميّ، وأن يحثّه على الاستسلام والإذعان، من دون نشوب معركة قتالية بينهما، لا يعرف أحدٌ منهما نتائجها.

وفي هذه الأثناء تقدّم أحد العساكر الغنميّة، وطلب الإذن للقاء القائد قبل بدء القتال. وعلى الفور سمح القائد بلقائه، فمثل العسكري المجند، أمام الإمبراطور، وانحنى بخشوع وجلال بين يديه مُردّداً:

– عاش الإمبراطور جنكيز خان العظيم.

علا هتافٍ حماسي عامّ في الأجواء:

\_ عاش... عاش... عاش.

سأله الإمبراطور باهتمام:

\_ ما مشكلتك أيها الجنديّ الموقرّ؟

أجابه المجنّد باستعداد:

\_ مولاي، كنتُ من جنود الخدمة الثابتة، لأنني مريضُ القلب،  
ولدي أوراقٌ طيبة تثبتُ صحّة ذلك.

\_ حسناً، أكمل.

\_ اليوم أتفاجأ بأن اسمي مُدرجٌ على لائحة المُشاة المهاجمين.

حدّق القائد طويلاً في وجه المجنّد الغنمي الشاحب، ثمّ سأله:

\_ وماذا تريد يا مجنّد؟

أجابه المجنّد المريض:

\_ كنتُ أصليّ لإله السماء، ثم أبتهلُ وأدعوه أن أعفى من هذه  
المهمة الصعبة، وها أنا الآن أمثل بين يدي القائد العادل، سائلاً إيّاه  
أيضاً إعفائي من هذه المهمة الثقيلة، لأنني لا قدرة لي على تحمّل  
أعباء القتال في الميدان.

\_ فقال له القائد العظيم بكل رَأْفَة وعطف:

\_ اذهب إلى الصفوف الخلفية، فأنت مُعفى من القيام بالمهام القتالية، وسنعيّنك في مطبخ الإمبراطورية الوهمية، لتقوم بتوزيع المُؤن والطعام على أفراد الجيش الخيالي، فلا فرق عندي بين من يعملون في الصفوف الأمامية أو الخلفية، طالما أنهم يعملون بشرف وأمانة في سبيل قضيتهم النبيلة.

\_ كل الشكر والحبّ لك مولاي الخان العظيم.

ثم انسحب العسكري منحنيًا، وأدّى شعار الأمة الوهمية، حلمٌ ووهمٌ، فكرٌ وخيال.. دوامٌ للعمير وراحةٌ للبال، وقد تحقّق حلمه خلال دقيقة واحدة، وبكلمات موجزة.

وبعد لحظات حضر مُمثّلٌ عن أشجار الغابة القزّمة للقاء القائد العظيم، والاستفسار منه عن مطالبه، وعن سبب الهجوم عليهم.

همس مُمثّل الأشجار مُتسائلًا:

\_ ماذا تُريدون منا؟ نحنُ شعبٌ آمنٌ يُحبُّ السلام، ولم نتعدّ يوماً من الأيام على أحد.

ردّ عليه الإمبراطور المفاوض:

\_ كلامك غير صحيح.

سأله الممثل الكبير بالعمر:

\_ لماذا يا سيّدي؟

\_ أنتم تعرفون أكثر منا.

همس الطائر الشاب الجاثم على كتف الإمبراطور في أذنه:

\_ مولاي، استدرجه في الكلام.

فقال المفاوض السلمي:

\_ لا فائدة تُرجى منكم.

\_ لا فائدة منا؟!!

\_ نعم.

\_ يا سيد الأمة الوهمية، إننا بالمناسبة أقدمُ منكم إقامةً على

كوكب الأرض، بملايين السنين، ونأتي في الصفوف الأولى على هذا الكوكب، فنحن من الآباء القدماء المعمرين.

فقال الإمبراطور:

\_ أعرفُ هذا.

– وهل تعلم أننا نشعر ونتألم، ولنا مخزون كافٍ من الذكريات التي نحفظ بها، ولنا أصدقاء، مثلما لكم.

سأله الخان بإعجاب:

– وماذا أيضاً؟

أجاب ممثل الغابة القزمية الكبير:

– فدعني، أُبين لك حقيقةً ربما غفلتَ عنها يا سيدي. إننا شعبٌ مثلكم نتعانق ونتشابك طول العمر، ويحبُّ بعضنا بعضاً.

– كيف ذلك؟

– عن طريق جذورنا في الأعماق المظلمة الهادئة.

حتى هذه اللحظة، كانت الكفّة تترجّح لصالح الغابة، بفضل حنكة ممثلهم وبلاغته، ولما أبداه من ثبات وحبج مقنعة.

وتابع القزم المسنّ:

– واعلم - أيها القائد العظيم - أننا من خلال تنفّسنا، ننتج كمّيات كبيرة من غاز الأكسجين، ونتخلّص من غاز ثاني أكسيد الكربون الضارّ، من خلال عملية التركيب الضوئي.



كان الكلُّ يُنصتون باهتمام بالغ إلى الحوار الدائر بين القادة،  
فقال له القائد مستمعاً:

\_ أحسنت، أكمل.

\_ ونعدّ أنفسنا الملجأ والفندق المجانيّ للحيوانات بشتّى  
أصنافها، ونقدم لها الطعام بالمجان، ولكم أيضاً.

\_ رائع جداً.

\_ وإننا من ناحية الزينة والجمال نجذب لكم السيّاح.

فقال القائد مُجاملاً:

\_ لقد أفنعتني، يا سيّد الغابة، بكلّ الحجاج، والأدلة التي لديك،  
ولكنّنا لن نترككم دون حرب.

\_ إذا كنت مقتنعاً بقضيّتنا العادلة، فلترحل أنت وجندك عنّا،  
واتركونا بسلام.

ارتفع هتافٌ عالٍ مصحوباً بصخب وضوضاء من خلف الإمبراطور  
المفاوض:

\_ الحرب... الحرب... الحرب.

قال الإمبراطور:

\_ أسمعتَ رغبة جيشي؟ فلتكن الحرب.

هزَّ رئيس الغابة القزِمة رأسه بشجاعة:

\_ دُقُّوا طبول الحرب.

صاح الإمبراطور عالياً:

\_ احرقوا الغابة عن آخرها.

ارتجفت أغصان الشجيرات القزِمة خوفاً، وارتعدت أوراقها هلعاً

وهمست:

\_ لقد انتهينا.

وصاح الكلُّ بصوت واحد:

\_ استسلام... استسلام... استسلام.

عندها عُقدت اتفاقية السلام بين الطرفين المتناحرين، وضمّنت بموجبها عدم مساس القوّات العسكرية الغنمية المسلحة أمنَ الأشجار، والحفاظَ على سلامتها، وعدم اقتلاعها، مقابل فتح بوابة الشجيرات القزِمة، أمام مرور الأمة الوهمية إلى الطرف الآخر من

الغابة، والسماح لهم في أثناء المرور بتناول الثمار المجّانية، ثم قال سيّد الغابة القزّمة مخاطباً القائد العظيم:

– أتأذنُ لي بالقاء كلمة بهذه المناسبة يا مولاي؟

– تفضّل يا سيّد الغابة.

– أشكركم جميعاً، قيادةً وأفراداً، دعوني أوضّح لكم أموراً مهمّة قد تخفى على كثير منكم. نحنُ -شعبُ الأشجار- نطلُّ أرقى من كل الكائنات الحيّة، فالكائنات الحيّة الأخرى تستفيد منّا في حياتنا وبعد موتنا. ذكرنا لكم فضلنا ونحنُ أحياء، أمّا عندما نموت فإننا لا نوارى الثرى، ونفتدي البشرية والحيوانات عامّة بأرواحنا، فنكون مصدرّاً للدّفء والنور، ويُستفاد من أخشابنا في صنع أدوات كثيرة، كالطاوولات والكراسي والمفروشات، وغيرها. لذا أحبُّ أن تعلموا أنّ السّلم معنا هو في صالحكم أيّها القائد أنت وجيشك.

أثنى القائد العظيم على خطاب ملك الأشجار القزّمة، وأيّده في كلّ ما قال، وطلب إليه وإلى أفراده السماح لهم بالمرور في الصباح الباكر.

ثمّ أعطى القائد الأمر لجيشه بالاستراحة في المكان حتى الصباح لمتابعة المسير.

ومع بزوغ الخيوط الأولى لشمس الصباح بدأت الغابة تفتح أبوابها المغلقة، أمام حشود الإمبراطورية الخيالية، وهي تتقدم بثبات إلى عمق الغابة القزّمة، على شكل طابورٍ عسكري، وعند الظهيرة اشتدّ الجوع والعطش بأفراد الجيش، فصاح القائد العام للجيش والقوات الغنمية بصوت عالٍ لرفع معنوياتهم وشحذ هممهم:

– تماسكوا، تقدّموا إلى الأمام أيها الشُّجعان الأبطال.

فردّ عليه أفراد المجلس العسكري:

– عاش جنكيز خان العظيم.

وعلا ثغاءً غنميّ من كلّ الجهات ثلاث مرّات متتاليات:

– عاش... عاش... عاش.

وحين وصلت القوّات إلى وسط الغابة منهكة القوى، فوجئت بجدول ماءٍ عذب رقيق، يشقُّ الغابة القزّمة إلى قسمين، قسمٍ ضعيف الخيرات والموارد اجتازوه، وقسمٍ ثانٍ فاجأهم حين رأوه؛ إذ كان يفوق أحلامهم وخيالاتهم كثيراً.

لقد لقوا جنةً المأوى الأرضية، حيث وجدوا شُجيرات التفاح القزّمة، ووجدوا شُجيرات البرتقال الدموي، وشُجيرات العنب الأسود،

والتوت الأحمر، والمنكا المصرية، وغيرها من الثمار الكثيرة الشهية التي لم يسبق لهم أن رأوا منها على كوكب الأرض، فصدرت الأوامر الإمبراطورية التي تبيح لهم أكل الثمار وشرب المياه العذبة، وتمنعهم من اقتلاع الشجيرات، والاقتراب من شجيرات المنكا المصرية، لأنها تسبب الحساسية، وكلّ من تسوّل له نفسه أن يقترب منها فسوف يُطرد من خدمة الأمة الخيالية السلمية التوسعية، ومن خدمة الإمبراطور العظيم جنكيز خان.

انتشر الجميع في أرجاء الغابة فرحين سعداء، كلُّ يتناول ما يطيب له من الثمار الطازجة، ويشربون المياه العذبة من وسط شجيرات الغابة، ولم يبقَ إلا جنكيز خان والراعي، يبحثان في بعض القضايا، ويتشاوران في بعض الأمور.

ثم قال القائد لوزيره الوحيد مندهشاً:

– لم أسمع في حياتي بهذه الغابة من قبل.

– مولاي، إنه يشبه فنّ البونساي الياباني في الزراعة.

– اليابانيون ذوو عقول مُبدعة، وهم شعب نشيط يستحق التقدير

والإعجاب.

انتهى الحديث مع نهاية النهار، وقد ارتوى الجميع من مياه  
الغابة العذبة وفرغوا من تذوق ثمارها الشهية، وباتوا في ذلك المكان  
الساحر، وفي الصباح الباكر تابعوا التقدم باتجاه النهر.

\*\*\* \*\*

## مُقابِلة المندوب

وصل الجيش الغنميّ الجزار إلى شاطئ النهر سريعاً قبل حلول الظهر، فحضر على الفور مندوب عن الأمة السمكيّة، ورحّب بالإمبراطور وجنرالاته وأفراد الجيش، ثم خاطب الإمبراطور قائلاً:

– أهلاً بكم، مولاي الخان العظيم، في نهر الأسماك.

أجابه الإمبراطور جنكيز خان الحزين:

– أشكركم، أيّها الشعب السمكيّ على حسن الضيافة، واستقبال الضيوف.

فتابع الحزين:

– إنني لا أرى الضحايا النافقين.

أجابه المبعوث بكلّ تواضع وأسى:

– أجسادهم البريئة، محفوظة في ثلاث موتى، في مشفى الحوت الأزرق الكبير.

– أحسنتم التدبير.

– شكراً. مولاي.

كانت الجموع الغفيرة، كلها تستمع إلى الحديث الدائر بين القائد والمندوب باهتمام بالغ.

فسأله الإمبراطور:

– أين أخي القنديل الخالد؟

أجاب المندوب بيأس:

– مريض، ويعاني من وعكة صحّية، وهو يجدّد خلاياه، وأنت تعلم أنّه في كلّ تجديد يمرّ بهذه المرحلة، ويعود شاباً من جديد.

– لا خوف عليه فهو خالد.

– بالطبع، يا سيّدي.

ثمّ سأله الوزيرُ الراعي:

– هل دهمكم العدوّ مرّة أخرى؟

أجاب بهدوء:

– لا، يا سيّدي.

– وما الإجراءات الأمنية لديكم؟

– ابتعدنا عن الشاطئ بقدر الإمكان، وغصنا نحو الأعماق، حتّى



ينتهي موسم الصيد، وينتهي الخطر، فنعود ثانيةً إلى السطح.

فقال القائد جنكيز خان:

– تدير حكيم.

ردّ المندوب اللبق:

– شكراً، شكراً، مولاي.

وفي أثناء حوار المندوب مع باقي الجنرالات الكباش، راح جنكيز خان العظيم قائد الأمة الخيالية، والمدافع عن حقوق المظلومين، ينظر إلى قواته المسلحة الغنميّة، وهم منتشرون على شاطئ النهر، يقضون أحلى الأوقات وأجملها، ويستمتعون بأطيب المأكولات الطازجة، ويشربون المياه العذبة التي تضاهي في جودتها ماركتي الكولا والبيبيسي العالميتين، فأية متعة بعد هذه المتعة؟!

وأخذ القائد العظيم يستعيد الأحداث التي جرت معه من البداية، ويتذكّر حصار أهل قرينته كودو الحدودية، لأنهم كانوا يظلمون ويفسدون في الأرض، ويسرقون الفرح والسعادة من أفواه الآخرين وقلوبهم، ويزرعون مكانها المآسي، والبؤس، والعذاب، والحزن. وكان جنكيز خان ذلك الطفل الذي وُلد يتيم الأبوين، فعانى الأمرين،

وأسس إمبراطوريته الخيالية ليدفع عن نفسه بعضاً من الهموم والمعاناة المتراكمة عبر السنوات، وكان يرى بعين الحالم اليقظ، أن الإنسان وإن بالغ في سعيه وراء المال، وانشغل بجمع الثروة الضخمة، على حساب تعاسة الآخرين، فإنه في النهاية لن يأكل سوى وجبة واحدة أو وجبتين، وسيشرب لتراً من الماء أو لبترين، بينما الآخرون يعانون ويتألمون جوعاً وفقراً، وعذاباً، فأقسم جنكيز خان أن ينتقم من ظالميه، ويكافح الظلم أينما وجد، ويحقق العدل أينما كان، عن طريق الخيال، بعد أن حرّر القرية باتفاقية السلام وعودة المياه إلى مجاريها الصحيحة.

وتوجّه بعدها إلى مستنقع الضفادع الغارق حتى العنق في الظلم والجور، وكشف سرّ المستنقع عن طريق معلومات استخباراتية حصل عليها من رئيس 'G.S.T' السابق ذي الرأس الكبير والعينين الواسعتين، وانتهت تلك المعركة أيضاً باتفاقية سلمية.

ثم أتته معلومات أخرى عن الغابة القزمة، بإغلاق بواباتها في وجهه للمرور إلى الطرف الآخر من الغابة، وتوصّل في معركة الغابة إلى حلول سلمية مقابل ضمانات من الطرفين، وهكذا انتهت معركة الغابة السلمية، إلى أن وصلوا إلى شاطئ نهر الأسماك للمشاركة بدفن الضحايا من الأسماك النافقين على يد أعدائهم الصيادين، وكانوا خلال

تلك الرحلة الطويلة، يحققون الانتصار السلمي تلو الآخر، من دون  
إراقة نقطة دمٍ واحدة من الطرفين، وكان أكبر إنجاز في العالم يتحقق  
على يديه.

سأل كروفاكس الحصانَ الإمبراطوريَّ مندوبَ السمك:

– هل لي أن أسألك عن قريبٍ لي هنا؟

أجابه المندوب السمكي القصير مُبتسماً:

– ذلك المخطط؟

رد كروفاكس ناهقاً بفرح:

– نعم. ذاك السمك الوحشيّ المخطّط.

فسأل الإمبراطورُ المبعوثَ الصغير:

– أين هو الآن؟

– معذرةً مولاي، فهو غير موجود الآن، لقد كلفه رئيس حماية

الأنهار بحضور مؤتمرٍ يخصّ البيئة والتلوث.

ردّ كروفاكس ناهقاً حزيناً:

– يا خسارة.

أجابه المندوب ليطيب خاطره:

\_ سنحاول الاتصال به موجياً.

\_ شكراً لك.

سأل جنكيزُ خان العظيم مندوبَ الأسماك:

\_ هل تعرف الغاية من وجودنا هنا؟

\_ لا.

تدخَّل كوجو الكلب وقال:

\_ نشر الأمن والسلام والاستقرار في العالم.

سأله المندوب بلهفة:

\_ لماذا لا تدافعون عنا؟

فقال القائد جنكيز خان:

\_ إن أعداءكم متطوِّرون.

ردَّ عليه مندوب الأسماك الصغيرة:

\_ لا تنسَ الأسلاف.

أجابه الإمبراطور مواسياً:

\_ لا تحزن، وتقبّل الحقيقة، فقد أصبح الفرق شاسعاً، خلال مليارات السنين، فتقبّل الوضع بروح رياضية عالية وصدرٍ رحب أيها المندوب.

\_ سمعاً، وطاعة يا مولاي.

فقال له الوزيرُ الراعي:

\_ عرفنا بنفسك.

أجابه مندوب الأسماك الصغير:

\_ أنا كليفيس.

\_ أكمل.

\_ وإنني خُنْثى.

\_ أكمل.

أجاب مندوب الأسماك بكل جرأة:

\_ إنني أملك عضواً ذكرياً، وعضواً أنثوياً، ألقح نفسي بنفسي

فأنجبُ أسماكاً متماتلين، ولكننا لا نعمرُّ طويلاً.

ثم تابع:

– معظم الأسماك يا سيدي، تتنفس عبر خياشيمها، ولكنني أتنفّس عن طريق جلدي، ولذلك أقوم بمهامّ برية.

فقال رئيس فرع المعلومات الطائر البومي الشاب:

– رأيتك، آخر مرة في الغابة القزّمة.

أجاب المندوب ضاحكاً:

– كنتُ أجمع المعلومات.

ثم سأله كوجو وهو يهزُّ ذيله:

– هل تشعرون وتحسون بالأشياء؟

ردّ بإيماءة من ذيله القصير جداً:

– نحنُ -شعبُ الأسماك- نحبُّ ونحزن.

– وماذا أيضاً؟

– نمارس التقبيل والجنس.

– شكراً، يا صديقي السمكيّ المحترم، على هذه الصراحة الواضحة.

ابتسم مندوب الأسماك قائلاً:

– دائماً نتحدّث بصراحة، ولا نقول غير الحق.

قاطعهم الوزير الوحيد قائلاً:

– وأنا مع صديقي، وأخي العزيز المندوب السمكيّ، لقد انتقلت كلّ الطبائع والعادات السيئة إلينا، مع مرور الزمن والأيام.

فقال قائد الخيال جنكيز خان العظيم:

– صدقت يا وزير، الكذب، والطمع، والحسد، والقتل، أفسد حياتنا.

– نعم، مولاي.

ثم تحدّث المندوب نيابة عن قومه المسافرين إلى الأعماق:

– أشكركم، أولاً على الرغبة في المشاركة في دفن شهدائنا النافقين، والتي فقدت أرواحها البريئة على يد العدو الآثم، ثانياً نشكر قائد الأمة الخيالية، لأنه وقف معنا في أصعب الظروف التي تمر بها المنطقة أو العالم على السواء، كما أشكر جميع أفراد خلية الأزمة، والقوّات الغنميّة والجنرالات الكباش، لأنهم وقفوا معنا، ومع قضيتنا العادلة معنوياً، وهذا التأثير برأيي أقوى من السلاح أحياناً، وبالنهاية أشكركم كثيراً على ما بذلتم من جهود في سبيل أمّة أسماك النهر، والسلام عليكم.

ومع انتهاء مقابلة المندوب انتهت جميع المعارك بالحلّ السلميّ من دون إراقة نقطة واحدة من سائل الحياة، ووقف الجميع باستعداد، حول القائد العظيم جنكيز خان قائد الأمة الخيالية التوسعية السلمية، وخطب فيهم قائلاً:

كُنتم حتى هذه اللحظة، جيش الإمبراطورية الخيالية، وقواتها الباسلة، وبعد هذه اللحظة التاريخية، ستبدأ مرحلة جديدة، فأنتم أحرار تُلَقَّاء منذُ الآن، واعلموا أن حياة الجندي كانت تضحية وفداء، في سبيل الأمة الوهمية والوطن الخيالي، وإنني أكرهُ إراقة الدماء الحمراء والخضراء كُرْهاً شديداً، فأشكركم على ما بذلتم من طاعة وولاء وتفانٍ، فقد قمتم بواجبكم الوطني على أكمل وجه تجاه إمبراطوركم العظيم، وإمبراطوريته الخيالية العظيمة، وها أنا أودّعكم، وأنا ذاهب إلى المدينة، على أمل أن ألتقي بكم يوماً، وإنّي أدرفُ دموعاً حارةً وغزيرة على فراقكم يا أحبائي الأعزاء، وسامحوني، على ما بدر مني من تقصير، والسلام عليكم.

\*\*\* \*\*

تمّت في 27 / 3 / 2021م

جنكو صالح تمّو



# الفهرس

7.....	الإهداء
9.....	البُشرى بولادة جنكيز خان
37 .....	حصارُ كودو.
67 .....	صلح كودو
90 .....	معركة الضفادع
117 .....	احتفالات النصر
129 .....	معركة الغابة القزِمة
150 .....	مُقابلة المندوب
160 .....	الفهرس



## جنكو صالح تمّو

روائيّ سوريّ من مواليد القامشلي ١٩٧٢م.  
أصدر روايتين سابقتين:  
"آلة الشيطان" و"المغامر العاشق".

## رواية "كليفيس":

تحكي هذه الرواية قصّة الشاب جنكيز خان الذي عانى الظلم والقهر منذ ولادته، فجنح إلى الخيال، وتصوّر نفسه قائداً عسكرياً يسعى إلى نشر السلام والمحبة والمساواة بين الناس والحيوانات والنباتات، وتأسيس عالم أشبه بجمهورية أفلاطون الفاضلة، أو جنة الله الموعودة، حيث الخير والفضيلة والحبّ.